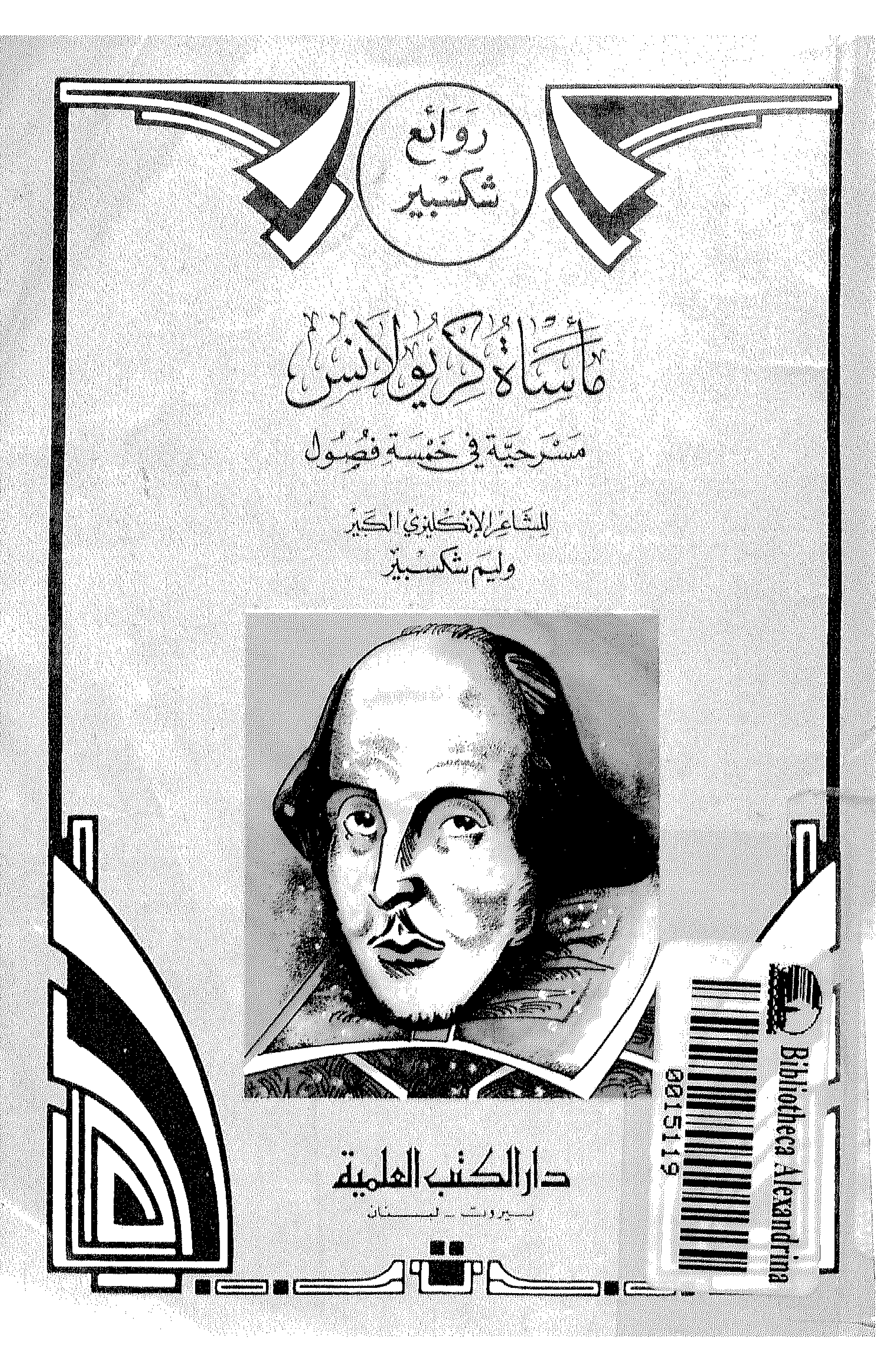

روائع شكسبير
مأساة كريولانس
مسرحية في خمسة فصول
للشاعر الإنكليزي الكبير
وليم شكسبير
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
Bibliotheca Alexandrina
0015119

مأساة كريولانس

مسرحيّة في خمسة فصول

للشاعر الإنكليزي الكبير

وليم شكسبير

دار الكتب العلمية

بيروت ـ لبنان

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١م

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

وليم شكسبير
(١٥٦٤ ـ ١٦١٦)

أعظم الشعراء والكتاب المسرحيين الإنكليز ، ومن أبرز الشخصيات في الأدب العالمي إن لم يكن أبرزها على الإطلاق . يصعب تحديد عبقريته بمعيار بعينه من معايير النقد الأدبي ، وإن كانت حِكَمُه التي وضعها على لسان شخصيات رواياته خالدة في كل زمان .

هناك تكهنات وروايات عديدة عن حقيقة شخصيته التي يكتنفها الغموض والإبهام ، وعن حياته التي لا يعرف عنها إلا القدر اليسير . والثابت أن أباه كان رجلاً له مكانته في المجتمع ، وكانت أمه من عائلة ميسورة الحال . وقيل إنه بلغ حدّاً من التعليم مكّنه من التدريس في بلدتهستراتفورد ـ أون ـ آفون ، التي يوجد بها الآن مسرح يسمى باسمه ، يقوم بالتمثيل على خشبته أكبر الممثلين المتخصصين في رواياته . ومن الثابت أيضاً أنه تزوج من آن هاتاواي ، وأنجب منها ثلاثة أطفال .

في سنة ١٥٨٨ انتقل إلى لندن وربط حياته بالمسرح هناك . وفي سنة ١٥٨٩ أُخرجت أولى مسرحياته ، وهي إما مسرحية « كوميديا الأغلاط » أو الجزء الأول من مسرحية « هنري السادس » . وفي سنة ١٥٩٩ اشترك في إدارة مسرح غلوب الشهير .

وقد كان شكسبير رجل عصره على الرغم من عالمية فنه ، إذ تأثر إلى حدّ بعيد بمعاصريه من كتّـاب المسرح مثل توماس كيد وكريستوفر مارلو ، وخاطب مثلهم الذوق الشعبي في عصره ، وهو الذوق الذي كان يهوى المآسي التاريخية بما فيها من عنف ومشاهد دامية . كما كان يهوى المشاهد الهزلية ذات الطابع المكشوف التي كانت تتخلل المسرحيات التراجيدية لتخفف من حدة وقعها .

غير أن شكسبير هذّب القصص التي نقلها عن المؤرخ هولينشد لتاريخ انكلترا واسكوتلندا ، كما هو الحال في مسرحيات « مكبث» و« الملك لير » و« سمبلين » و « ريتشارد الثالث » . وعن المؤرخ الروماني بلوتارك ، كما في مسرحية « أنطوني وكليوباطرا » . وأضف إلى ذلك كله عمق تحليله للنفس البشرية ، فضلاً عن شاعريته الفياضة في تصوير المواقف التاريخية والعاطفية الخالدة ، حتى جعل من المسرح الإنكليزي فنّاً عالميّاً رفيعاً .

ومن المتفق عليه بين معظم الباحثين والدارسين أن ٣٨ من المسرحيات لا يشك في نسبتها إليه ، وأن مراحل إنتاجه الأدبي يمكن تقسيمها إلى مراحل أربع :

أولاهـا : (١٥٩٠ ـ ١٥٩٤) وتحوي مجموعة من المسرحيات التاريخية منها « كوميديا الأغلاط » و « هنري السادس » و « تيتوس أندرونيكوس » و « السيدان من فيرونا » و « جهد الحب الضائع » و « الملك جون » و « ريتشارد الثالث » و « ترويض النمرة » .

المرحلة الثانية : هي المرحلة الغنائية (١٥٩٥ ـ ١٦٠٠)

وتشتمل على معظم قصائده الشهيرة وبعض مسرحياته الخفيفة ، مثل « ريتشارد الثاني » و « حلم منتصف ليلة صيف » و « تاجر البندقية » التي ترجمت جميعاً إلى العربية مع بعض روائعه الشهيرة مثل « روميو وجولييت » و « هنري الخامس » و « يوليوس قيصر » و« كما تهواه » وقد ترجمت جميعاً إلى العربية أيضاً.

ومن مسرحيات هذه المرحلة كذلك « زوجات وندسور المرحات » و « ضجيج ولا طحن » .

المرحلة الثالثة : وهي أهم المراحل على الإطلاق ، إذ تمثل قمة نضوجه الفني ؛ فقد كتب فيها أعظم مسرحياته التراجيدية ، مثل « هاملت » و « عطيل » و« الملك لير » و« مكبث » و« أنطوني وكليوباطرا » و« بركليز » و « كريولينس » و « دقة بدقة » ، وقد ترجم معظمها إلى العربية ، ومنها ما ترجم أكثر من مرة ، ومنها ما بلغ عدد ترجماته العشرة مثل « هاملت » .

ومن مسرحيات هذه المرحلة أيضاً « تيمون الأثيني» و « خير ما انتهى بخير » .

المرحلة الرابعة : وهي المرحلة التي اختتم بها حياته الفنية (١٦٠٩ ـ ١٦١٣) ، وقد اشتملت على مسرحيات « هنري الثامن » و « العاصفة » مما ترجم إلى العربية ، وعلى مسرحيتي « قصة الشتاء » و« سمبلين » .

وفي هذه المرحلة نجد العواطف النفسية العنيفة وقد خبت وتحولت في نفس الشاعر إلى نظرة تقبل ورضى وأمل وتأمل .

هذا وقد نسب بعض النقاد المتقدمين مؤلفاته إلى آخرين ، منهم الفيلسوف فرنسيس بيكون ، ومنهم إيرل اكسفورد . وقال

آخرون إنه من أصل عربي وإن اسمه جاء تحريفاً لاسم الشيخ زبير . وكلها أقوال لم تثبت بالأدلة القاطعة ولم يقم عليها الدليل العلمي وإن كانت هناك بحوث كثيرة في هذا الصدد . ولقد اشترك كثير من كبار الشعراء في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في جمع مسرحياته ونقدها ، وإن اختلفت وجهات النظر وتعددت أساليب النقد . ففي القرن الثامن عشر اعترض كتّاب من أمثال « دريدن » و « بوب » على ما اعتبروه إسراف شكسبير في الخيال والتعبير . أما شعراء القرن التاسع عشر من أمثال « كولريدج » فقد أعطوا الشاعر الكبير ما يستحقه من التقدير ، وكذلك الحال بالنسبة إلى نقاد القرن العشرين ، من أمثال « ت . س . اليوت » ممن أكدوا عالمية فنه وخلود أدبه .

هذا وقد كان لشكسبير أثره الكبير في آداب جميع الأمم على الإطلاق ، وتأثر به جميع الكتاب والشعراء والأدباء في كل البلدان وفي كل العصور ، في القارة الأوروبية وفي الأمريكتين وفي غير ذلك من القارات في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر خاصة ، وفي غير ذلك من القرون . أما في الأدب العربي فقد تأثر به كثير من الأدباء ، وترجمت معظم مسرحياته ، وقدمت في المسرح والسينما والإذاعة .

ونحن ، في دار الكتب العلمية ، إذ يسرنا أن نقدم إلى القراء الكرام أشهر مسرحيات شكسبير المعربة ، نتمنى أن يكون ذلك دافعاً لمزيد من التمازج والتلاقح بين الثقافة العربية العظيمة ومختلف الثقافات الأجنبية ، تمهيداً لإنشاء ثقافة إنسانية واحدة متكاملة . وما توفيقنا إلا بالله العلي العظيم .

شخصيات المسرحية

كيوس مرسيوس: يدعى فيما بعد بـ كيوس مرسيوس كريولانس روماني نبيل.

تنيتوس لارتيوس

كومينيوس.

قائدان ضد الفولسيين.

مينينيوس آغريبا: صديق لكريولانس.

سيسنيوس فلوتوس

يونيوس بروتس

اثنان من تريبونات الشعب.

مرسيوس الصغير: ابن كريولانس.

بشير روماني.

تولوس اوفيديوس: قائد الفولسيين.

ملازم لاوفيديوس.

متآمرون مع اوفيديوس.

مواطن من آنتيوم

حارسان فولسيان

فلومنيا: ام كريولانس.

فيرجليا: زوجة كريولانس.
فلريا: صديقة فيرجليا.
وصيفة تخدم فيرجليا.
شيوخ رومان وفولسيون، أشراف، ايديلات، شرطة، جنود، مواطنون، سعاة، خدم لاوفيديوس، مرافقون.
مكان المسرحية: يتراوح بين روما وضواحيها، وكريولي وضواحيها، وآنتيوم.

الفصل الأول

المشهد الأول

روما ـ شارع

(تدخل جمهرة من المواطنين الثائرين،

يحملونَ العصي والهراوات وأسلحة أخرى).

مواطن أول : قبل أن نتقدم أكثر من هذا، استمعوا إليّ أتكلم.

مواطنون : قل. قل.

المواطن الأول : كلكم مصممون على أنكم تفضلون الموت على التضور جوعاً؟.

المواطنون : مصممون، مصممون!.

المواطن الأول : أولاً، أنتم تعرفون أن كيوس مرسيوس هو عدو الأمة الأكبر؟.

المواطنون : نحن نعرف. . نعرف.

المواطن الأول : فلنقتله، فنحصل على القمح بالثمن الذي نحب ونريد. هل هذا قرار؟.

المواطنون : كفانا كلاماً وحديثاً عنه. فلننفذّ: هيا، هيا!.

مواطن ثان : كلمة واحدة، أيها المواطنون الطيبون.

المواطن : نحن نُعتبر مواطنين فقراء بائسين. أما الطيبون

الأول فالأشراف والنبلاء. وما يُتخم أهل الحكم كافٍ لمساندتنا: فلو أنهم يقدمون لنا ما يزيد عن حاجتهم، قبل أن ينتن ويتعفن، لقلنا إنهم يساعدوننا بإنسانية. غير أنهم يعتقدون أننا نكلّفهم غالياً. والهزالُ الذي يصيبنا، والشاهد على بؤسنا هذا، ما هو إلا كشف بتفاصيل توفيرهم. معاناتنا مغنم لهم. فلننتقم لذلك بهراواتنا الغليظة، قبل أن نصبح عيداناً رفيعة. تعلم الآلهة أنني ما أقول هذا إلا من أثر الجوع للخبز، لا ظمأ للثأر والانتقام.

المواطن الثاني : أتريدون أن تقوموا ضد كيوس مرسيوس خاصة؟.

الجميع : ضده أولا: ما هو للجماهير سوى كلب بعينه.

المواطن الثاني : هل أخذتم بالاعتبار الخدمات التي قام بها لبلاده؟.

المواطن الأول : خير اعتبار. ولَكُنّا نبتهج بأن نقول فيه أحسن المديح والثناء، لولا أنه يجازي نفسه بالتيه والكبرياء.

المواطن الثاني : أرجوك، لا تتكلم بحقد.

المواطن : إني أقول لكم، كل ما اشتهر بفعله، لم يفعله

الأول إلا للغاية تلك. فلئن يقنع ذوو الضمير الرقيق بالقول إنه صنع ما صنع من أجل وطنه، فإنه إنما صنعه إما مراضاة لوالدته وإما بدافع الكبرياء. متكبّر هو بقدر فضله.

المواطن الثاني : ما ليس له به حيلة في طبعه، تحسبه أنت أنه رذيلة فيه. ولكن إياك أن تقول أنه جشع.

المواطن الأول : إن لم أقل ذلك، فإنني لن أُعدَمَ له اتهامات عديدة إنّ له من الرذائل والنقائض، حتى الفيض، ما يُمَلّ تعدادُه.

(صرخات من الداخل)

ما هذا الصياح؟ لقد ثارت الناحية الأخرى من المدينة! فيم بقاؤنا هنا نثرثر؟ هلم إلى الكابتول!.

الجميع : هيا، هيّا!.

المواطن الأول : لحظة! من القادم هنا؟.

المواطن الثاني : السيد الفاضل مينينيوس آغريبا، رجل قد أحب الشعب دوماً.

المواطن الأول : رجل لا غبار عليه: ليت الآخرين كانوا مثله!.

(يدخل مينينيوس آغريبا)

مينينيوس : ماذا أنتم صانعون، أيها المواطنون؟ أين

تذهبون بالعصيّ والهراوات؟ ما الأمر؟ قولوا، أرجوكم.

المواطن الأول : ليس أمرنا بالمجهول لدى مجلس الشيوخ. لقد رأوا، خلال هذين الأسبوعين، بوادر مما ننوي القيام به، وهو ما سوف نريهم إياه الآن أفعالاً. يقولون إن لأهل الحاجة انفاساً قوية ولسوف يدركون أن لنا سواعد شديدة كذلك.

مينينيوس : ولكن أيها السادة، يا أصحابي الطيبين، وجيراني الأفاضل، أتبغون إهلاك أنفسكم؟.

المواطن الأول : لن نقدر على ذلك يا سيدي، فقد هلكنا وانتهينا.

مينينيوس : أقول لكم، أيها الأصحاب، إن للأشراف أكرم العناية بكم. أما حاجاتكم ومطالبكم، أمّا معاناتكم في الجدب هذا، فما رفعها بوجه الدولة الرومانية إلا كمثل رفعكم العصيّ بوجه السماء ولسوف تمضي الدولة في السبيل الذي اتخذته، كأسوار عشرة آلاف استدارة في وصلات أقوى مما أظهرتم من عوائق. فالقحط من فعل الآلهة لا الأشراف، والسجود لها أجدى وأنفع، وليس رَفْعُ السلاح. واأسفاه.. لقد دفعتكم المصيبة إلى حيث ينتظركم

المزيد، وانتم تطعنون في القائمين على مسيرة أمور الدولة المهتمين بكم كالآباء عندما تشتمونهم وتسبونهم كالأعداء.

المواطن الأول : القائمون على أمورنا! صحيح والآلهة! ما عنُوا بنا إلى اليوم أبداً: يجعلوننا نجوع، ومخازنهم محشوّة بالقمح. يسنّون القوانين للربا، ليدعموا المرابين. ويُلغون كل يوم كل قانون شرّع ضد الأغنياء، وفي كل يوم يصدرون المزيد من القوانين الجارحة، لغلّ الفقراء وكبحهم. إذا لم تأكلنا الحروب، أكلونا هم: هذا كل ما يكّنونه لنا من حب.

مينينيوس : إمَّا أن تعترفوا بأنكم حقودون جداً.. أو تُتهموا بالحمق والبلاهة. سأحكي لكم حكايةً جميلة ربما سمعتموها قبلاً ولكن، لأنها تتفق ومرادي، سأجازف بالنيل من طراوتها من جديد.

المواطن الأول : سأسمعها يا سيدي. ولكن لا تعتقد بأنك تخادعنا عن زرايتنا بمجرد حكاية. تفضل بالكلام.

مينينيوس : يحكي: إن أعضاء الجسم قد تمردت كلّها ذات يوم على البطن، واتهمته قائلة إنه كالحفرة

باقٍ وسط الجسم، كسولاً، عاطلاً، يخزن الطعام دوماً، ولا يتحمل يوماً مشقة كالتي تتحملها البقية. في حين أن الأعضاء الأخرى تُبصر، وتسمع، وتبتكر، وتعلّم وتسير، وتشعر، وهي إذ تعاون الواحدة الأخرى إنما تخدم الرغبات والعواطف المشاعة في الجسم كله. فأجاب البطن:

المواطن الأول : نعم، يا سيدي، بماذا أجاب البطن؟.

مينينيوس : سأخبرك يا سيدي: بابتسامة لم تصدر قط عن الرئتين ـ وهكذا ترى أنني أجعل البطن يبتسم كما أجعله يتكلم ـ أجاب البطن زاجراً الأعضاء الغاضبة، تلك الأجزاء المتمرّدة التي تحسده على ما يتسلّم، تماماً كما تحسدون أنتم فعلاً، إذ تذمّون شيوخنا لأنهم ليسوا مثلكم.

المواطن الأول : ماذا كان ردّ بطنك؟ الهامة المتوجة ملكياً، العين الساهرة، القلب النصوح، الساعد جندينا، والساق حصاننا، واللسان بوّاقنا، وغير ذلك مما في هيكلنا هذا من مدافعين وصغار المعنيين، إن كانوا ـ . . .

مينينيوس : ثم ماذا؟ . . وحق الإله إن هذا الرجل سيثرثر. ثم ماذا؟ ثم ماذا؟ . .

المواطن الأول : ستحكّم بهم البطن الجشع وهو بالوعة البدن.

مينينيوس : نعم، ثم ماذا؟ .

المواطن الأول : إذا اشتكى هؤلاء العاملون فماذا بوسع البطن أن يجيب؟ .

مينينيوس : سأقول لك إذا منحتني شيئاً من الصبر - هذا الذي ليس عندك إلا القليل منه - ستسمع جواب البطن.

المواطن الأول : أرى أنك تماطل بذلك.

مينينيوس : تفضّل واسمع، يا صاح. كان صاحبك البطن الوقور متأنّياً، لا طائشاً كمن يتهمونه فأجاب هكذا: قال: «صحيح أيها الأصحاب المتحدون أنني أول من يتلقى طعام الجميع، هذا الذي تعيشون عليه، وذاك خليق بي لأنني مستودع الجسم كله ودكانه: ولكنني، إن كنتم تذكرون، أرسله في أنهر أنهار إلى القصر، القلب، وإلى مقرّ العقل. ومن خلال ممرات وحجرات الإنسان تتلقّى مني أقوى العضلات

وأضعف العروق القدرة الطبيعية التي تحيا بها:
فإن كنتم، أيها الأصحاب الكرام، لا تتمكنون
جميعاً. .» هكذا يقول البطن، منتبهون؟.

المواطن الأول : نعم، يا سيدي، نعم. ثم؟.

مينينيوس : «. . فإن كنتم لا تستطيعون جميعاً أن تروا، مرة واحدة، ما أوصله إلى كل واحد منكم، فإنّ بمقدوري أن أقدّم لكم الحساب، لأريكم أن الجميع ينال مني طحين الجميع ولا يبقى لي أنا سوى النخالة». فما رأيكم؟.

المواطن الأول : ردّ لا بأس به، كيف تطبقه؟.

مينينيوس : شيوخ روما هم هذا البطن الصالح، وأنتم هم الأعضاء المتمردة. لأنكم لو تفحصتم نصائحهم واهتماماتهم، وفهمتم الأمور، كما ينبغي، من أجل الصالح العام، لوجدتم أن ما من خدمة عامة تحصلون عليها إلّا وتصدر عنهم، وتنبثق منهم، وليس عنكم أو منكم أنتم. ما رأيك أنت، يا أخمص هذا التجمع؟.

المواطن الأول : أأنا أخمص؟ لماذا أخمص؟.

مينينيوس : لأنك، وأنت من أحطّ، وأحقر، وأفقر هؤلاء المتمردين العاقلين، أول من يمشي في مقدمتهم. فأنت أهزل من في القطيع، وأسوأ من فيه عدْواً وتسبق الجميع لربح مكسب لنفسك. ولكن عليكم بالعصيّ الغليظة والهراوات: فروما وجرذانها على وشك الوقيعة: ولا مناص من الهلاك لأحد الطرفين!.

(يدخل كيوس مرسيوس).

سلاماً، أيها النبيل مرسيوس!.

مرسيوس : شكراً. ما الأمر، أيها الأوغاد البذيئي الكلام، تمعنون في حكّ أسْفَهِ ما في آرائكم فتصيبون أنفسكم بالجرب والحكاك؟.

المواطن الأول : لا يصيبنا منك أبداً إلا الكلمة الطيبة!.

مرسيوس : من يُسْمِعْك كلماتٍ طيبةً ينافق نفاقاً أحط من البغيض. ما الذي تبغون، أيها الأجراء الفعلة، يا من لا تحبّون السلم ولا الحرب؟ هذه تخيفكم، وتلك تملؤكم عجرفة. من يثق فيكم ويحسبكم أسوداً، يجدكم أرانب، وإذا توقعكم ثعالب، وجدكم أوزّاً، فلستم أولى بالثقة من جمرة النار على الثلج، أو بَرَدٍ تحت الشمس.

أما فضيلتكم فهي أن تجعلوا من ذاك الذي يذله جُرْمهُ إنساناً محترماً وتشتموا العدالـةَ التي ذَلّتْهُ. من يكن أهـلاً للعـظمـة يكن أهـلاً لبغضكم ولكرهكم، وما حبكم إلاّ شهيّـة العليل، الـذي أشـد ما يشتهيـه هو ذاك الـذي يضاعف علتـه. ومن يتكل على الهوى منكم إنما يسبح بزعانفَ من الـرصاص ويحتـطب السنديـان بعيـدانٍ من القصب هل بكم ثقة؟ قـاتلتكم الآلهة؟ تبـدلون رأيكم في كل دقيقة، فتسمّون شريفاً ذاك الذي كـان الآن موضـع بغضكم، وحقيراً ذاك الـذي كان إكليل غاركم. ما الذي حدث حتى بدأتم، في أماكن مختلفة من المدينة، ترفعون العقيـرة ضد الشيوخ الأفاضل، وهم الـذين بعد الآلهـة فـرضـوا الخـوف عليكم، وإلاّ لالتهم بعضكم بعضاً؟ ما الذي تريدون؟.

مينينيوس : القمحَ بالثمن الذي يقررونه. يقولون إن المدينة مخزونة بالقمح.

مرسيوس : قـاتلتهم الآلهـة! يقـولـون! إنهم يجلسـون إلى المـدفـأة، ويـدعـون معـرفـة مـا يجـري في الكـابتول: مَن المتسـامي، ومن المـوفّق، ومن المنـتكس. يـنحـازون لـفـريق دون آخـر،

ويتخرّصون بزفاف هذا من تلك، رافعين من شأن بعض الأحزاب، وحاطّين من قدر تلك التي لا تحظى برضاهم، إلى ما دون أحذيتهم المرقعة يقولون إن ثمة من القمح ما فيه كفاية! ليت الأشراف يتخلّون عن شفقتهم ويسمحون لي بإعمال سيفي، لجعلت من أشلاء آلاف العبيد هؤلاء ركاماً بعلّو ما يبلغه رمحي المقذوف.

مينينيوس : لا بأس، فهؤلاء قد كادوا يقتنعون تماماً، فهم قد ينقصهم الكثير من العقل إلا أنهم في غاية الجبن والتخاذل، ولكن، أرجوك، ماذا تقول الجماعة الأخرى.

مرسيوس : تفرّقت، لعنتها الآلهة! قالوا إنهم جياع وراحوا يتنهدون أمثالاً ـ «الجوع يهدم حيطان الحجر»، «لا بد للكلاب من قوت»، «خُلِقَ الطعامُ للأفواه»، «ليس للأثرياء فقط تُرسل الآلهة القمح» ـ بمثل هذا النُتَفِ راحوا يبثون شكاواهم، وعندما استجيب لهم، وحصلوا على مطالبهم، على غرابته ـ وإنه ليفطر قلب كل ذي مروءة، ويُشحب الوجه من السلطة الجريئة ـ رموا عالياً بقبعاتهم كأنهم يريدون

تعليقهـا فـوق قـرون القمـر، وهم يجهـرون بحقدهم ومقتهم.

مينينيوس : ما الذي نالوه؟.

مرسيوس : خمسة تريبونات ـ للدفـاع عن حِكَمهم السوقيـة ينتخبونهم بأنفسهم. أحدهم يونيوس بروتوس، والآخـر سيسنيوس فلوتـوس، ولا أعلم من. يـا للعنة على الطغام أن يهدوا أسقف المدينة قبـل أن ينالوا ذلك مني، بمرور الزمن لسوف ينـالون من أصحاب السلطان، ويطرحون مواضيع أكبر يتناقش فيها الثائرون.

مينينيوس : يا للعجب.

مرسيوس : ابتعدوا عني، إلى منازلكم، أيتها المِزَق!.

(يدخل رسول، على عجل)

رسول : اين كيوس مرسيوس؟.

مرسيوس : ها هنا. ما الأمر؟.

رسول : علمنـا يـا سيـدي أن الفـولسيين قـد شهـروا السلاح.

مرسيوس : رائـع! ستكـونّ لنـا وسيلة إذن للتخلّص مـن الـزائـدين العفنين عنـدنـا. انـظروا! شيـوخنـا الكرام.

(يدخل كومينيوس، وتيتوس لارتيوس، وشيـوخ آخرون ومعهم يونيوس بروتوس وسيسنيوس فلوتوس).

الشيخ الأول : مـرسيوس، صحيح ما أنبئنـا بـه مؤخـراً من أن الفولسيين قد شهروا السلاح.

مرسيوس : عندهم قائد ـ تولوس اوفيديوس ـ سيجربـك أية تجـرية إني أُذنب إذ أحسـده على نبله، ولـو لم أكن أنا ذاتي لتمنيت أن أكونه هو فقط.

كومينيوس : لقد تبارزتما وجهاً لوجه.

مرسيوس : لو انقسم العالم على بعضه بالتساوي، وكان هو من فريقي، لتمردت، لأجعل حروبي عليه دون سواه. إنه أسد يزهيني أن أقتنصه!.

الشيخ الأول : إذن، أيها الكريم مـرسيوس، واكب كـومينيوس إلى هذه الحروب.

كومينيوس : إنه وعدك السابق.

مرسيوس : نعم يـا سيـدي. وإني لبـاق عليـه، تيتـوس لارتيوس، لسوف تراني مرة أخرى أضرب وجـه تولوس. ماذا؟ هل تخشبت؟ أتقف جانباً؟.

تيتوس : لا يا كيوس مرسيوس سأتوكأ على عكاز، وأقاتل في النهاية، قبل أن أتخلّف في هذا الصراع.

مينينيوس : يا ذا النسب الأصيل!.

الشيخ الأول : واكبـونا إلى الكـابتول، حيث علمت أن رفـاقنا الكرام بانتظارنا.

تيتوس : (لكومينيوس): سر بنا.

(لمرسيوس) الحق كومينيوس: ونحن نلحقك فأنت الأهل للأولوية.

كومينيوس : يا مرسيوس النبيل!

الشيخ الأول: (للمواطنين) إلى منازلكم، هيا! اذهبوا!.

مرسيوس : لا، بل فليتبعونا. لدى الفولسيين قمح وفير. خذوا إليهم هذه الجرذان لتقضم أهراءهم. أيها المتمردون المحترمون. إن بسالتكم لتظهر على أحسن ما تكون! أرجوكم اتبعونا.

(المواطنون يتفرقون انسلالا. يخرجون جميعاً، فيما عدا بروتوس وسيسينيوس)

سيسنيوس : هل رأيت إنساناً أكثر أنفة وكبرياء من مرسيوس هذا؟.

بروتوس : ليس له مثيل.

سيسنيوس : عندما انتُخبنا تريبونات للشعب.

بروتوس : هل رأيت إلى شفته وعينيه؟.

سيسنيوس : وتعليقاته الجارحة!

بروتوس : إذا انفعل، فإنه لن يتورع عن الهزء والسخرية حتى من الآلهة.

سيسنيوس : والسخرية حتى من حياء القمر.

بروتوس : ألا أكلته الحروب الوشيكة! لقد زادت كبرياؤه عن حدها لشدة بأسه وبسالته.

سيسنيوس : رجل ذو طبيعة كهذه، عندما يدغدغه التوفيق

والنجاح، فإنه يحتقر الظل الذي عند الظهيرة. ولكن ما يدهشني أن وقاحته تتحمّل أن يكون تحت إمرة كومينيوس.

بروتوس : الشهرة التي يعمل لأجلها ـ والتي يتحلى بها منذ زمن ـ لن يجد لها حفاظاً، أو تحقيقاً، خيراً من مرتبة دون الأولى؛ فكل مسعى فاشل سيجعل تقصيراً من القائد، وإن أبلى أقصى ما يستطيعه إنسان من بلاء: وحينئذ سوف يهتف أصحاب الرأي الطائش عن مرسيوس: «ليته هو الذي تولى الأمر!».

سيسنيوس : وزيادة على ذلك، إذا سارت الأمور على ما يرام، فإن الرأي العام، وهو المحبذ لمرسيوس، سيجرّد كومينيوس من جداراته.

بروتوس : والنتيجة، ستُنسب إلى مرسيوس، نصف أمجاد كومينيوس وإن لم يكسبها مرسيوس: فإن كل أخطاء كومينيوس ستكون أمجاداً لمرسيوس، وإن لم يكن في الواقع جديراً بأي منها.

سيسنيوس : لنذهب ونسمع كيف يتم الأمر، وعلى أي حال، فيما عدا شذوذ طبعه، سيتصرف في المهمة الحاضرة.

بروتوس : لنذهب. (يخرجان)

المشهد الثاني

في كريولي ـ مجلس الشيوخ .
(يدخل تولوس اوفيديوس وبعض الشيوخ)

الشيخ الأول : رأيك إذن، يا أوفيديوس، هو أن أهل روما عارفون بمشاوراتنا ويعلمون كيف تسير.

اوفيديوس : ألست ترى معي ذلك؟ هل فكّرنا بشيء في هذه الدولة أمكن تجسيده بالفعل، قبل تدخل روما بإحباطه؟ لم تنقض أربعة أيام منذ أن سمعت من هناك، هذه هي الكلمات، أظن أن الرسالة معي، هنا. نعم، ها هي : (يقرأ) لقد جنّدوا جيشاً، ولكن لا يعلم أضد الشرق هو أم الغرب. الجدب عظيم، والناس في عصيان، ويشاع أن كومينيوس، ومرسيوس عدوك العتيد ـ وروما تمقته أشد مما تكرهك ـ وتيتوس لارتيوس، وهو من أشدّ الرومان بأساً وبسالة، هؤلاء الثلاثة رأس هذا الجيش حيثما كان توجهه ـ والغالب أنها أنتم. فتدبروا الأمر.

الشيخ الأول : جيشنا في الميدان. ما أثرنا شكّاً قط إلا وكانت روما مستعدة لجوابنا.

اوفيديوس : لا، ولم تخفوا التكتم بخططكم الكبيرة حتى تكشف عن نفسها مجبرة، ويظهر أنها تبدّت لروما وهي قيد التخطيط! والكشف سيقصر بنا عن هدفنا ـ التي كانت اخضاع عدة مدن وروما لم تكد بعد تدري أننا قد تحركنا!.

الشيخ الثاني : يا اوفيديوس النبيل، استلم أنت القيادة، وأسرع إلى كتائبك. دعنا وحدنا لحراسة كريولي. فإذا حاصرونا، تعال بجيشك للنجدة، ولكنني أعتقد أنك ستجد أنهم لم يستعدوا لنا.

اوفيديوس : آ.. لا ترتب في ذلك إني أتكلم عن يقين، بل وأكثر من ذلك، فإن بعض فرق جيشهم بدأت تتقدم ـ وباتجاهنا فقط ـ أني أترككم يا سادة. فإذا اتفق والتقينا أنا وكيوس مرسيوس فقد اقسمنا لنستمرنّ في المبارزة إلى أن يتعب واحد منا.

الجميع : ساعدتك الآلهة!.

اوفيديوس : وأبقتكم في السلام!.

الشيخ الأول: مع السلامة.

الشيخ الثاني: مع السلامة.

الجميع : وداعاً، مع السلامة. (يخرجون)

المشهد الثالث

روما. غرفة في منزل مرسيوس
(تدخل فلومنيا وفيرجليا)
(تجلسان على مقعدين منخفضين، وتخيطان)

فلومنيا : أرجوك يا ابنتي، غنّي. ؟ وعبّري عن نفسك بمرح أشد. لو كان ولدي هو زوجي، لسمحت لنفسي أن تفرح بغياب يكسب فيه الشرف أكثر مما أسرّ بعناقه في فراش يبدي فيه غاية الحبّ والحنان. يوم كان طريّ العود، ووليد رحمي الوحيد، ويوم جذب الصبا مع الجمال الأبصار كلها نحوه، يوم لم تكن والدة، لو راح الملوك يترجّونها نهاراً بطوله، لتبيعه ساعة واحدة لا تشاهده فيها، إذ حسبت كيف أن الشرف يليق بفتى كهذا، وأنه لم يكن ليفضل صورة معلقة على جدار إن هو لم تحركه دواعي الشهرة، كان يفرحني أن أدعه يطلب الخطر حيثما يلقى الشهرة. لحربٍ ضروس أوفدته رجع منها مكلّل الجبين بالغار. قسماً يا ابنتي، ما وثبت سروراً عندما سمعت، للمرة الأولى، أنه مولود ذكر أكثر ما فعلت عندما رأيته أول مرة

يثبت أنه رجل فحل.

فيرجليا : ولكن!! افترضي أنه مات في المعركة، يا سيدتي، كيف يكون الحال؟.

فلومنيا : لكان الحديث عن حسن بلائه، هو ولدي، ولكنتُ وجدت في ذلك ذرية لي. فلأعترف لك بإخلاص: لو أن لي اثني عشر ولداً كلهم، في محبتي، سواء وكلهم عزيز عليّ كقرة عينك وعيني مرسيوس، أن أرى أحد عشر منهم يموتون ـ بشرف ـ من أجل وطنهم على واحد يستغرق في شهواته من دون أي فعل.

(تدخل وصيفة)

الوصيفة : سيدتي، السيدة فلريا قدمت لزيارتك.

فيرجليا : أرجو أن تأذني لي بالانسحاب.

فلومنيا : مستحيل! فإنه يخيّل إليّ أني أسمع هناك طبل زوجك، وأراه يقبض على شعر أوفيديوس والفولسيون يتجنبونه كما يتجنب الأطفال دبّاً، وأني لأراه يخبط بقدمه هكذا، صائحاً: «هلمّوا أيها الرعايد! بالخوف والوجل قد حبلت بكم أمهاتكم، وإن تكونوا قد ولدتم بروما!» يمسح جبينه المدمى بيد مدرّعة، وينطلق كحصّاد التزم بحصاد الحقل بأجمله، أو يفقد أجره!.

فيرجليا : جبينه المدمى! آه جوبيتر، لا دم!.

فلومنيا : ابعدي يا حمقاء! إن هذا لأليق بالرجل من ذهب يوشّى به ضريحه. وإن ثديي هكيوبا، إذا كانت ترضع هكتور، ما بانا أجمل من جبهة هكتور حين راحت تتف الدم على سيف الأغريقي، ازدراءً به واحتقاراً له. قولي لفليريا إننا نرحب بها.

(تخرج الوصيفة)

فيرجليا : ألا حفظت السماءُ سيّدي من اوفيديوس وشدته!

فلومنيا : بل سيقوم بضرب رأس اوفيديوس دون ركبته، ويطأ على عنقه.

(تدخل فليريا مع حاجب والوصيفة)

فليريا : نهار سعيد، أيتها السيدتان.

فلومنيا : أهلاً بالسيدة الجميلة.

فيرجليا : يسرني أن أرى سيادتك.

فليريا : كيف حالكما، كلتيكما؟ جليستا المنزل، ولا ريب! ما هذا الذي تخيطانه؟ نقشة جميلة، لعمري! كيف حال ولدك الصغير؟.

فيرجليا : شكراً للطفك، بخير، سيدتي.

فلومنيا : يفضّل مشاهدة السيوف وسماع الطبول، على النظر إلى معلمه.

فليريا : الـولد سـر أبيه، وايم الحق. قسمـاً إنـه لصبيّ وسيم جـداً، أتعلمين، يوم الأربعـاء رحت أنظر إليه باستمرار لمدة نصف ساعة: له وجه شديد العزم. رأيته يعدو وراء فراشة مذهبـة، وعندمـا أمسـك بها أطلقهـا، ثم راح يجري وراءهـا مرة أخـرى، ثم عثر ووقـع، فنهض، وأمسـك بهـا للمـرة الثانيـة. ولا أدري إن كانت سقـطتـه قـد أغضبتـه أو أي شيء آخر ـ كيف صرّ بأسنـانـه ومزّقها!! إي والآلهة، كيف فتتها!.

فلومنيا : إحدى حالات أبيه!.

فليريا : في الحقيقة، إنه ولد نبيل.

فيرجليا : سَخْطَةٌ، يا سيدتي!.

فليريا : هيـا، اتـركي إبـرتـك. سـأجعلك، عنـد هـذا الأصيل، تمثلين معي دور ربة البيت الكسول.

فيرجليا : لا يا عزيزتي. لن أخرج.

فليريا : لن تخرجي؟.

فلومنيا : بل ستخرج، ستخرج.

فيرجليا : لا، حقاً، عن إذنك. لن اجتاز عتبة الباب حتى يؤوب سيدي من الحرب...

فليريا : أف، إنـك تحبسين نفسـك من غيـر تعقـل،

تعـالي ، ينبغي عليـك عيــادة السيـدة الـطيبـة ، طريحة الفراش .

فيرجليا : سـأسـأل الله لهـا الشفـاء السـريـع ، وأعـــودهـا بتضرعاتي ، ولكني لا أستطيع الذهاب إليها .

فلومنيا : لماذا، أرجوك؟ .

فيرجليا : لا ضنّـاً بـالجهـد والتعب، ولا شحّـاً في الحب والمودة .

فليريا : تريدين أن تكوني بنلوب أخرى: ولكن يقـولون إن النسـج الـذي نسجتـه جميعـه، في غيــاب يولسيس إنما ملأ ايثاكـاً بالعث! هيـا، أتمنى لو أن نسيجك لا يخلو من حسّ، كبنانـك، عسى أن تكفي عن وخـزه رحمـة بـه، هيـا، ستـأتين معنا .

فيرجليا : لا يا سيدتي ، اعذريني . لن آتي .

فليريا : والآلهـة إن أتيتِ معي ، قصصت عليـك أنبــاء رائعة عن زوجك .

فيرجليا : لا أنباء بعد، يا سيدتي .

فليريا : وايم الحق، ما أنا بهازلة، فقـد بلّغت منه أنبـاء في الليلة الماضية .

فيرجليا : أحقاً؟ .

فليريا : نعم. إني جــادة، فقـد سمعت أحـــد الشيـوخ

يتكلم بهـا. وهي: أن الفـولسيين قـد حـركّـوا جيشـاً لهم، فلقيه القـائد كـومينيـوس بقسم من جيشنا الروماني: أما زوجـك وتيتوس لارتيـوس فقـد استحكما أمـام مدينتهم كـريولي. وهم لا يشكّون في التغلب، وفي جعلها معركة قصيرة. هذا صحيح، قسماً بشرفي. ولـذا، هلمي معنا أرجوك.

فيرجليا : اعـذريني، أيتها السيـدة الكريمـة. وبعد ذلـك أطيعك في كل شيء.

فلومنيا : دعيها وشأنها. ففي حالتهـا هذه، ستفسـد علينا لهونا ومرحنا.

فليريا : حقـاً، صحيـح. وداعـاً إذن. تعـالي، سيـدتي الجميلة. أرجـوك يـا فيـرجليـا، اخـرجي عن وقارك هذا، ورافقينا.

فيرجليا : بكلمـة واحـدة، سيـدتي، لا. بـل يجب ألا أخرج. أتمنى لكما غاية المرح والسرور.

فليريا : حسن، وداعاً، إذن.

المشهد الرابع

أمام مدينة كريولي

(يدخل مرسيوس، وتيتوس لارتيوس، وضباط، وجنود، مع طبل وأعلام).

مرسيوس : ها هي الأخبار آتية: أراهن على أنهم التقوا.

لارتيوس : جوادي لجوادك، لم يلتقوا.

مرسيوس : ارتضيت.

لارتيوس : موافق.

(يدخل رسول)

مرسيوس : أخبرني، هل التقى قائدنا بالعدو؟.

الرسول : كل منهما على مدى نظر الآخر. ولكنهما لم يتقابلا بعد.

لارتيوس : اذن، جوادك الفاخر لي.

مرسيوس : أبتاعه منك.

لارتيوس : كلا، لا أبيعه ولا أهبه. إنما أعيره لك لنصف مائة من الأعوام. نادِ أهل المدينة.

مرسيوس : كم تبعد هذه الجيوش؟.

الرسول : ميل ونصف تقريباً.

مرسيوس : سنسمع أبواقهم اذن، كما أنهم سيسمعون أبواقنا. والآن، أيها الإله مارس، فلتلهمنا

السـرعـة في العمـل عسى أن نسيـر من هنـا بأسياف دامية لننجد أصدقاءنا في المعركة هيا، انفخ ببوقك!.

(يصوّتـون لحن المفـاوضـة. يبـدو في أعلى الأسـوار شيخان مع رجال آخرين)

مرسيوس : هل تولوس اوفيديوس، داخل أسواركم؟.

الشيخ الأول : كلا، وليس من أحد يهابكم أقلّ منه، وهو أقـل من القليل.

(طبول من بعيد)

اسمعـوا! طبـولنـا تستـدعي شبـابنـا! سنحطم أسوارنا ولن نجعلها تحبسنا خلفها وأبوابنا، وإن بـدت موصـدة، إنما ثبتنـاها بـأقصاب ولسـوف تنفتح من تلقاء نفسها.

(أبواق من بعيد)

انصتوا، من بعيد! هنـاك اوفيديـوس. أصغوا، أي بلاء يبليه في جيشكم المقسوم إلى فئتين!.

مرسيوس : آ، إنهم عليها!

لارتيوس : فليكن في ضـوضـائهم دليـل لنـا أيهـا الرجال، عليكم بالسلالم!.

(يدخل جيش الفولسيين)

مرسيوس : إنهم لا يهابوننا، ويخرجون من مدينتهم. ضعوا

دروعكم الآن أمام صدوركم، وقاتلوا بقلوب أصلب من الدروع. تقدم، أيها الشجاع تيتوس. إنهم يحتقروننا أكثر مما نعتقد، إنّي لأتصبب عرقاً سُخطاً لذلك، هلموا يا رفاقي: ومن يتأخر منكم، سأعده فولسياً وأذيقه حدّ سيفي!.

(نفير، وقتال. يتقهقر الرومان إلى خنادقهم)

(يعود مرسيوس، وهو يشتم).

مرسيوس : فلتحل بكم أوبئة ريح الجنوب جميعها، يا عار روما! يا قطيعاً من الغنم ألا كسيتم دمامل وطواعين، حتى ليبغضونكم على أبعد مما يشاهدونكم، ويُعدي بعضُكم بعضاً ولو على بعد ميل عكس الريح! يا أرواح أوزٍ أخذت هيئات الرجال، كيف هربتم من عبيد بإمكان القرود أن تهزمهم! يا لبلوتو والجحيم! جميعكم، من الخلف، جريح، بأقفية حمراء ووجوه صفراء من هروب وهلع ورِعْدة! نظموا صفوفكم، وشددوا الهجوم وإلاّ، قسماً بنيران السماء، تركت العدو وجعلت حروبي عليكم، هيّا، تقدموا، وإذا ثبتّم، كسرناهم حتى

أسرّتهم، كما تبعونا هم إلى خنادقنا.

(نفير آخر، وقتال. يهرب الفولسيون)

(ومرسيوس في أعقابهم حتى أبواب المدينة).

مرسيوس : ها هي الأبواب مشرعة الآن! كونوا لي خير معين: فالقدر يفتح مصاريعها للمطاردين لا للفارين. تطلعوا إليّ، واقتدوا بي.

(يدخل الأبواب)

الجندي الأول : حماقة كاملة لا عليّ.

الجندي الثاني : ولا عليّ.

(تغلق الأبواب على مرسيوس)

الجندي الأول : هل ترون، لقد حبسوه!.

الجميع : إلى حيث نهايته، ولا شك.

(النفير مستمر)

(يدخل ثانية تيتوس لارتيوس)

لارتيوس : ماذا حدث لمرسيوس؟

الجميع : قتل يا سيدي، دون ريب.

الجندي الأول : لاحق المنهزمين في أعقابهم ودخل معهم أبوابهم. وإذا هم فجأة يغلقون الأبواب: إنه بمفرده يجابه المدينة جميعها.

لارتيوس : أما أنبلك من رجل! إنه بملء حـواسه أجـرأ من حسامه الذي لا يحسّ، وإذا ما انحنى مهنـده، انتصب هـو! لقد بقيت يـا مرسيـوس، ولو كـان هناك درة صافية بقدر حجمك. لما كانت نفيسة مثلك. لقـد كنت جنديـاً كالـذي تمنّاه «كـاتـو» شرساً رهيباً لا بالضـراب فقط، ولكن بنظراتـك الجهمة وقصف صوتك كالرعد جعلت أعـداءك يرتعدون، كأنما الدنيا محمومةٌ وترتجف.

(يدخل مرسيوس، دامياً، يهاجمه العدو)

الجندي الأول : انظر، سيدي!.

لارتيوس : آه، هذا مرسيـوس لنخلصه، أو نصمد مثله.

(يقاتلون، ويقتحمون المدينة بأجمعهم).

المشهد الخامس

شارع في كريولي

(يدخل بعض رجال الرومان، ومعهم غنائم)

روماني أول : سأحمل هذا إلى روما.

روماني ثان : وهذه سأحملها أنا.

روماني ثالث : يا للعنة! حسبتها فضة!.

(النفير ما زال مستمراً من بعيد)

(يدخل مرسيوس وتيتوس لارتيوس مع بوّاق).

مرسيوس : انظر إلى هؤلاء المتعطلين الذين يعادلون شرفهم بدرهم مصدوع! وسائد، ملاعق رصاص، حدائد ذات الفلس، قمصان يطمرها الجلادون مع لابسيها، هذا ما يتخاطفه هؤلاء الأرقاء المناكيد وهم لمّا ينتهوا من القتال. تبّاً لهم! واسمع! يا لضجيج ذلك القائد! علينا به! هناك أوفيديوس، مركز الضغينة من قلبي يخرق صحبنا الرومان خرقاً: إذن، أيها الشجاع تيتوس خذ الأعداد اللازمة لاحتلال المدينة، فيما أسرع أنا، برفقة أصحاب النخوة والعزيمة، لنجدة كومينيوس.

لارتيوس : سيدي الكريم، إنك تنزف. وما فعلته كان أعنف من أن تعاود جولة أخرى من القتال.

مرسيوس : إياك والثناء علي، يا سيدي. فما حميت بعد بما صنعت. وداعاً. إن الدم الذي ينزف مني دواء لي ولا خطر عليَّ. هكذا سأبدو لأوفيديوس، وأقاتل.

لارتيوس : أرجو أن تقع إلّهة الزمن الجميلة في غرامك، وأن تضلّل عنك محاسنها الرائعةُ سيوفَ أعدائك! كان التوفيقُ رفيقَك، أيها الباسل!.

مرسيوس : ورفيقَك أيضاً. كالذين تخصهم إلّهة الزمن بالرفعة، وداعاً.

لارتيوس : ما أكرمك يا مرسيوس!. (للبواق).
اذهب، إلى ساحة السوق وانفخ في بوقك هناك، وادع حكّام المدينة حيث سنعلن لهم عن مرادنا. هيا!.

المشهد السادس

قرب معسكر كومينيوس

(يدخل كومينيوس، كمن يتقهقر، ومعه جنود)

كومينيوس : خذوا نَفَساً، أيها الرفاق فقد أحسنتم القتال. لقد فعلنا كما يليق بالرومان: لا حمقى في الصمود ولا رعاديد في الانسحاب. وإذ كنا نضرب فإننا قد سمعنا، على تقطع، ما تحمله هبّات الريح من هجمات أصدقائنا. آلهة روما، وجهي حظوظهم بما نتمنى لأنفسنا، عسى أن يلتقي كلا جيشينا بوجوه ضاحكة فيقدّما لك ضحايا الشكر والامتنان!.

(يدخل رسول)

ما وراءك؟

الرسول : لقد خرج أهالي كريولي والتحموا مع لارتيوس ومرسيوس في معركة: وقد شاهدت جماعتنا يُرَدون إلى خنادقهم. ثم قدمت إليكم.

كومينيوس : إن قلت الصدق فإن قولك ليس خيراً. منذ متى كان ذلك؟.

الرسول : منذ ساعة ونيف، يا مولاي.

كومينيوس : ولكن المسافة أقل من ميل، وقد سمعنا طبولهم منذ لحظات. كيف استطعت أن تمضي ساعة في قطع ميل واحد وتتأخر هكذا بأخبارك؟.

الرسول : لقد لاحقني جواسيس الفولسيين، فاضطررت إلى الدوران ثلاثة أميال أو أربعة. وإلَّا لكنت يا سيدي جئتكم ببلاغي منذ نصف ساعة.

كومينيوس : مَن هناك، ذاك الذي يبدو كأنه مسلوخ الجلد؟ يا للآلهة! إن له معالم مرسيوس. ولقد شاهدته كذلك من قبل.

مرسيوس : (من الداخل)هل أتيت متأخراً؟

كومينيوس : لا يميز الراعي الرعد من الدف أحسن مما أميز صوت لسان مرسيوس عن كل إنسان أصغر منه.

(يدخل مرسيوس)

مرسيوس : هل أتيت متأخراً؟.

كومينيوس : نعم، إن لم تأتِ بدم الآخرين بل مسربلاً بدمك أنت.

مرسيوس : آ، دعني أعانقك بذراعين سليمتين وبقلب مرح كيوم زواجي.

كومينيوس : يا وردة المحاربين، كيف الحال مع تيتوس لارتيوس؟

مرسيوس : كما هو مع رجل تشغله المراسيم: قاضياً على البعض بالإعدام، والبعض الآخر بالنفي، قابلاً فداء هذا، راحماً ذاك، مهدِّداً الآخر، قابضاً على كريولي باسم روما كمن يمسك بكلب سلوقي يبصبص في الرباط ليطلقه حينما يريد.

كومينيوس : أين ذلك العبد الذي أخبرني بأنهم هزموكم إلى خنادقكم؟ أين هو؟ نادوه إلى هنا.

مرسيوس : دعه وشأنه، لقد أخبرك الحقيقة. أمّا أسيادنا المراكز العامة ـ لفهم الطاعون! ـ يريدون تريبونات! فما تجنب جرذٌ، هرّاً مثلما هم راوغوا أوغاداً أحطّ منهم.

كومينيوس : ولكن كيف انتصرت؟.

مرسيوس : هل الوقت يكفي للرواية؟ لا أظن. أين العدو؟ هل أنتم أسياد الميدان؟ وإلاّ، ففيم توقفكم إلى أن تكونوا الأسياد؟.

كومينيوس : مرسيوس، لقد قاتلنا في ظل معوقات فتراجعنا لتحقيق غايتنا.

مرسيوس : أين يقع جيشهم؟ أتدري على أية جهة قد وضعوا رجال ثقتهم؟.

كومينيوس : تخميني يا مرسيوس هو أن فيالق المقدمة لديهم من رجال الانتيات، وهم الأجدر بأعظم ثقتهم،

يقودهم اوفيديوس.

مرسيوس : أتوسل إليك بكل المعارك التي قاتلنا فيها، بالدم الذي سكبناه معاً، بالأيمان التي أقسمناها لنظل صديقين، أن تضعني وجهاً لوجه أمام أوفيديوس ورجاله الانتيات، وأن لا تؤجّل ما نحن فيه، بل نملأ الجو سيوفاً مرفوعة ونبالاً ونؤكد انتصارنا هذه الساعة بعينها.

كومينيوس : لكنني أتمنى لو أنك تُقتادُ إلى حمّام دافىء وتُمْسَحُ بالزيوت والبلاسم، ولكنني لا أجرؤ أن أردّ لك طلباً قط: خذ من تريد ممن هم أفضل الرجال في مساعدتك على فعلك.

مرسيوس : ليسوا سوى أولئك الذين هم أشدّهم إرادة. إن كان بينكم ـ ومن الإثم أن أرتاب في ذلك ـ من يهوى هذا الدهان الذي ترونني مضرّجاً به، أو يخاف سوء الذكر أكثر مما يخاف على شخصه، أو يحسب أن الموت الجريء خير من الحياة الفاسدة، فليتفضل بمفرده، أو كل من يشعر مثله، ويشهر سيفه، تعبيراً عن ميله، ويتبع مرسيوس.

(ويصرخون جميعاً ويشهرون سيوفهم، ويرفعونه على اكتافهم، ويقذفون بقبعاتهم عالياً).

أأنـا بمفردي؟ أتجعلون مني سيفـاً؟ إذا لم تكن المـظاهر هـذه خـارجيــة وحسب، أيٌّ منكم لا يعدل أربعـة فولسيين سوية؟ ما من أحـد فيكم إلا وبمقدوره أن يحمل بوجه أوفيديوس العظيم درعـاً صلباً كـدرعـه. ولكن لا بـد لي أن أنتقي عـدداً معيناً، مـع شكري لكم كلكم أمـا البقيـة فلســوف تتحمـل العبء في قتــال آخـر كمـا تقتضي الظروف. (لكومينـوس) أرجوك، تقـدم، وأربعــة سينفــذون أوامــري وينتقــون أنسـب الرجال.

كومينيوس : سيروا، أيها الصحب. اثبتوا حقيقة ما أبديتـم، وأعدكم بتقاسم الغنائم كلها معنا.

المشهد السابع

عند أبواب مدينة كريولي

(تيتوس لارتيوس، بعد أن أقام الحرس على كريـولي، يسير مـع الطبـول والأبواق نحو كـومينيوس اوكيـوس مرسيـوس، ويدخـل وبصحبته مـلازم، وجنود آخرون، ودليل).

لارتيوس : هكـذا، أقيموا الحراسة على الأبـواب، قومـوا بـواجبـاتكم كمـا حـددتهـا. وإذا بعثت إليكم، أرسلوا بكتـائب المئة تلك لنجـدتنا. أمـا البقية فتكفي لسيطرة وجيزة، إذا خسرنا المعـركة فلن نستطيع المحافظة على المدينة.

ملازم : لا تخف على اهتمامنا، يا سيدي.

لارتيوس : اذهب، واوصـد أبوابـك بوجهنا. تـعـال أيهـا المرشد. دلنا إلى معسكر الرومان.

(يخرجون)

المشهد الثامن

ميدان المعركة بين معسكري الرومان والفولسيين نفير كما
في المعركة،
(يدخل من طرفين متقابلين مرسيوس واوفيديوس).

مرسيوس : لن أقاتل أحداً سواك. لأنني أكرهك أكثر من ناكث لوعده.

اوفيديوس : كرهنا متشابه وليس في إفريقية ثعبان أكرهه أكثر من شهرتك المحسودة. ثبت قدمك!.

مرسيوس : من يتراجع أولاً فليمت عبداً للآخر، ولتلعنه الآلهة بعد ذلك!.

اوفيديوس : إن أنا هربت يا مرسيوس، فصِحْ في إثري صيحة الصياد بالأرنب.

مرسيوس : في هذه الساعات الثلاث، يا تولوس، وحدي قاتلت وراء أسوار مدينتك كريولي، وصنعت بها ما أردت: هذا الذي تراني مبرقعاً به ليس دمي. إن ترد ثأراً شدّ عزمك لأقصى مداه.

اوفيديوس : حتى لو كنت هكتور، نفسه، غضب أسلافك

الذين تفاخرون بهم، فلن تنجو مني هنا.

(يتبارزان، فيأتي بعض الفولسيين لنجدة أوفيديوس. يستمر مرسيوس في القتال حتى يجبرهم على التراجع)

اوفيديوس : (لرجاله) واجباً لا شجاعة تقاتلون، وما أتيتم بنجدتكم اللعينة إلي إلا بالعار والخجل!.

المشهد التاسع

المعسكر الروماني

(نفير قتال، ثم تراجع. نفير آخر. يدخل من أحد الجانبين كومينيوس مع نفر من الرومان، ومن الجانب الآخر مرسيوس، وذراعه في ضمادة)

كومينيوس : لو قصصت عليك ما فعلت اليوم لما صدقت أنت فعالك. ولكنني سأحكيه حيث الشيوخ يمزجون الدموع بالبسمات، وحيث سادة القوم يصغون ويهزّون الأكتاف وفي النهاية يعجبون، وحيث السيدات يفزعن، وإذ يرتجفن متلذذات، يسمعن المزيد. حيث التريبونات البليدين، وهم مع الدهماء العفنة، يمقتون أمجادك سيقولون، رغم ما بقلوبهم: «نحمد الآلهة على أن لروما جندياً كهذا!» غير أنك إنما أتيت إلى لقمة من هذه الوليمة، وقد شبعت طعاماً قبلها.

(يدخل تيتوس لارتيوس مع جيشه، عائداً من المطاردة).

لارتيوس : أيها القائد، هذا هو الحصان، ونحن له السرج. لو كنت شاهدت. . .

مرسيوس : أرجوكم، كفى. إن والدتي، وهي التي من حقها أن تمتدح ذريتها، تحزنني عندما تثني علي، لقد صنعت كما صنعتم - وهذا كل ما باستطاعتي - يحدو بي ما حدا بكم وطني. ومن نفَّذ طيب إرادته فقد سبق بالفضل فعلي.

كومينيوس : لن تكون قبراً لجدارتك. يجب أن تعرف روما قدر أبنائها: وإن هي أخفت فعالك كان إخفاؤها أسوأ من السرقة، بل وعيباً عليها. أو إن هي فرضت السكوت على ذاك الذي لو أعلن من عوالي المدح وشواهقه لبدا قليلاً معتدلاً: ولذا، أتوسل إليك - دلالة على ما أنت، لا جزاء على ما صنعت - اسمعني أمام جيشي.

مرسيوس : إن بي كلوماً تتألم إن هي سمعت من يذكرها.

كومينيوس : وإذا لم تُذكر فلعلها تتقيح إزاء الجحود والعقوق، وتداوي نفسها بالموت. من الجياد جميعها - وقد غنمنا الأصيل والوفير منها - ومن كل ثمين غنمناه في هذا الميدان وهذه المدينة، نعطيك العشر، تتسلمه قبل التوزيع العام، باختيارك وحده.

مرسيوس : شكراً أيها القائد. ولكن لا أستطيع أن أجعل

قلبي يقبل أن يأخذ رشوة يُجزَى بها حسامي إني أرفضها وأُصِرّ على سهمي الذي أشارك به كل من شهد المعركة.

(نفخ متواصل في الأبواق. يهتفون جميعاً: «مرسيوس! مرسيوس!» ويقذفون إلى الأعلى بقبعاتهم ورماحهم).

مرسيوس : هذه الآلات التي تدنّسونها، ألا ليتها تسكت إلى الأبد! إذا ما الطبول والأبواق راحت حتى في الميدان تنافق، فلتُبنى القصورُ والمدن جميعها من مديح زائف الوجه! وإذا ما الفولاذ أصبح ناعماً نعومة حرير الطفيلي، فَلْنَجْعَل الحرير لباساً في الحروب! كفى، أقول لكم! فلأنني ما غسلت أنفي الذي نزف، أو لأنني غلبت رجلاً مسكيناً هزيلاً ـ وهنا الكثيرون ممن فعلوا ذاك غير ملحوظين ـ رحتم تهتفون باسمي هتافات مغالية. كأنما يلّذ لي أن تُطعم صغائري مدائح، توابلُها الأكاذيب.

كومينيوس : أنت متواضع أكثر مما ينبغي، وقسوتك على حسن سمعتك أشد من امتنانك لنا نحن الذين أحسنا نعتك. حلمك! إن كنت حاقداً على نفسك، ألبسناك أغلالاً كمن ينوي إيذاء نفسه،

فنناقشك آمنين. ولهذا، فليكن معلوماً لنا وللعالم بأجمعه: إن كيوس مرسيوس يلبس إكليل الحملة هذه: ورمزاً لذلك نفحته حصاني الأصيل، المعروف في المعسكر، بكل بديع ملحقاته، وليُسمى، منذ هذه اللحظة، لما حقق أمام كريولي، مع هتاف الجيش وتصفيقه جميعاً، كيوس مرسيوس كريولانس. ولتحمل هذا اللقب بشرف إلى الأبد!

(أبواق، وطبول).

الجميع : كيوس مرسيوس كريولانس! . .

كريولانس : سأذهب وأغتسل وستعرفون عندما ينظف وجهي هل احمرّ حياءً أم لا. على كل، أشكركم. أريد أن امتطي حصانك، وأن أتوّج في كل حين بلقبك الكريم لأجمل ما تستطيعه قواي.

كومينيوس : والآن، إلى خيمتنا، وهناك، قبل أن نستريح، سنكتب إلى روما عن انتصارنا. أما أنت، يا تيتوس لارتيوس، فعليك بالرجوع إلى كريولي: واوفد إلينا، في روما، نخبة القوم، لنتفاوض معهم لصالحهم وصالحنا.

لارتيوس : سأفعل يا مولاي.

كريولانس : لقد بدأت الآلهة تسخر مني وتهزأ بي! فأنا

الذي رفضت الآن أجمل الهدايا الأميرية، لديَّ التماس من مولاي القائد.

كومينيوس : إني أجيبك إليه. فما هو؟.

كريولانس : لقد نزلت هنا مرة، في كريولي، في بيت رجل بائس فقير. وقد شاهدته اليوم أسيراً. غير أن أوفيديوس كان أمام ناظريّ فطغى السخط على شفقتي. فأرجوك أن تهب مضيفي الفقير حريته.

كومينيوس : ما أروع التماسك! حتى لو كان هو ناحر ولدي، لأجعلنّه حراً طليقاً كالريح. اطلق سراحه يا تيتوس.

لارتيوس : مرسيوس، ما اسمه؟.

كريولانس : نسيت، وحقّ جوبيتر، فأنا متعب. أجل، ذاكرتي متعبة. أليس من خمر هنا؟.

كومينيوس : لنذهب إلى خيمتنا، فقد بدأ الدم يجف فوق وجهك، وآن لنا أن نعتني به. هيّا.

(يخرجون)

المشهد العاشر

(نفير. يدخل تولوس اوفيديوس مدمّى. مع جنديين أو ثلاثة)

أوفيديوس : استولوا على المدينة!.

الجندي الأول : سنسترجع المدينة بشروط جيدة.

اوفيديوس : شروط! ليت أنني كنت رومانياً. لأنني عاجز، وأنا الفولسي، أن أكون ما أنا. شروط! أية شروط جيدة تلقاها أية معاهدة في الجانب المغلوب؟ خمس مرات حاربتك يا مرسيوس وخمس مرات غلبتني، وأحسب أنك هازمي حتى لو تقابلنا كلما أكلنا. وحق العناصر، إن أنا قابلته مرة أخرى، وجهاً لوجه، فهو لي، أو أنا له: لم يعد في منافستي ما كان فيها يوماً من شرف. فإذا كنت أريد سحقه بقوة توازي قوته، فأنا له غصباً أو غيلة.

الجندي الأول : إنه الشيطان.

اوفيديوس : بل هو أجرأ منه، ولكن يعوزه دهاء. جرأتي تسممت بتلّوثها به، وسعياً به لسوف تخرج عن طورها، فلا رقاد ولا حرم لا كونه عارياً، أو

عليـلاً، لا معبـد ولا كـابيتـول، لا صلوات القسـاوسة، ولا آواني القـرابين، لا ولا مـوانـع العنف كلهـا، ستحـول، بسننهـا أو تقـاليـدهـا البائرة، بيني وبين حقدي على مرسيوس. أينما التقيته، حتى ولو في المنـزل، بحراسـة أخي، فـإنني سأحـرق تقاليـد الضيافـة، وأغسل يـدي الشـرسة بقلبـه. اذهبوا إلى المـدينة، وانـظروا على أي شكل كان احتـلالهـا، ومن هم الـذين يأخذون رهائن لورما.

الجندي الأول : ألن تذهب أنت؟.

اوفيديوس : هنـاك من ينتظرني في غـابة السـرو. أرجوكم ـ إنهـا جنـوبيّ مـطاحن المـدينـة ـ ائتـوني هنـاك بكلمة تنبئني كيف تدور الدنيا، لكي أسير على أثرها.

الجندي الأول : سنفعل يا مولاي.

(يخرجون)

الفصل الثاني

المشهد الأول

(روما. مكان عام)

(يدخل مينينيوس مع اثنين من تريبونات الشعب،
سيسنيوس وبروتوس).

مينينيوس : يخبرني المنجم أن أنباءً ستبلغنا هذه الليلة.

بروتوس : حسنة أم سيّئة؟.

مينينيوس : ليست كما يأمله الشعب ويتمناه، لأنهم لا يحبون مرسيوس.

سيسنيوس : إن الطبيعة هي التي تلقّن الحيوانات معرفة أصدقائها.

مينينيوس : ألا أخبرني، ما الذي يحبه الذئب؟.

سيسنيوس : الحمل.

مينينيوس : أجل، ليأكله، كما يرجو العامة الجياع التهام مرسيوس.

بروتوس : إنه حمل وايم الحق، ويثغو كالدب.

مينينيوس : هو دب، وايم الحق، ويحيا كالحمل. كلاكما رجل شيخ، أجيباني على شيء أسألكما إياه.

كلاهما : تفضل.

مينينيوس : ما السيئة التي تقال في مرسيوس، وليست كثيرة فيكما؟.

بروتوس : لا تقل فيه سيئة واحدة، بل هو مليء بالسيئات كلها.

سيسنيوس : ولا سيما الكبرياء.

بروتوس : وتفوّقه تبجحاً على الجميع.

مينينيوس : غريب! أتعلمان نقد الناس إياكما هنا في المدينة ـ أعني نقد أصحاب الميمنة؟.

بروتوس : وما نقدهم؟.

مينينيوس : لأنكما تتحدثان عن الكبرياء الآن، ألا تغضبان؟.

كلاهما : لا بأس، يا سيدي، لا بأس.

مينينيوس : ليس هنا أمر مهم، لأن لص فرصة صغيرة سلبكما قدراً كبيراً من الصبر. ليطلق كل منكما حبله على غاربه، ويغضب على هواه. على الأقل، قد تجعلان من الغضب هوى ومتعة. أتلومان مرسيوس على كبريائه؟.

بروتوس : لسنا وحدنا في ذلك. يا سيدي.

مينينيوس : أعلم أن ليس باستطاعتكما أن تفعلا لوحدكما سوى القليل. المساعدون كثيرون، وإلا لكانت أعمالكما حقاً ضئيلة، ومن ليست له إلا قدرات

الأطفال، لا يقدر على الكثير وحده. تتكلمان عن الكبرياء؛ ليت الفرد منكما يتمكن أن يدير عينيه نحو مؤخر عنقه، ويتفحّص نفسه الكريمة من الداخل! آه يا ليت!.

بروتوس : ثم ماذا؟.

مينينيوس : لاكتشفتما زوجاً من قضاة نكدين، قاسيين، متعجرفين، تافهين - اسمهم الآخر «بلهاء»، ككل القضاة في روما!.

سيسنيوس : مينينيوس، أنت أيضاً يعرفك الناس حق المعرفة.

مينينيوس : يعرفني الناس بأنني شريف متقلب المزاج، يحب كأساً من النبيذ الحار لا تخففه قطرة من نهر التيبر. ويدّعون أن بي شيئاً من سيئة هي أنني أحابي صاحب الشكوى الأولى، وأتسرع شائطاً كعود الكبريت لأتفه الأسباب، وأنني امرؤ يسامر ردف الليل أكثر من جبين الصباح: ما اعتقده أقوله وبأنفاسي استنفذ حقدي. وحينما ألتقي باثنين من سياسيي الدولة مثلكما - وما بوسعي أن أدعو أياً منكما ليكورغس - إذا لم يطب مشروبكما لحلقي عبستُ وليس لي أن أقول إنّ سيادتكما قد أحسنتما التعبير عن الأمر، عندما

أجـد أن الحمار مركّـب في معظم تعـابيركمـا.
وإن كان لي أن أقبل بتحمل الذين يقولون إنكما رجلان جادّان محترمان، إلا أنهم يكذبون أقبح الكـذب إن هم قالـوا لأي منكمـا إن لـه وجهـاً حسنـاً. فـإن كنتمـا تجـدان ذلـك في خـريطة عالمي الصغير، فهل يستتبع ذلك أنني أنا أيضاً معـروف حق المعـرفـة؟ ومـا الـذي تستخلصـه أنـظاركمـا العشــواء من هـذا الخُلُق، إن كنت أيضاً معروفاً حق المعرفة؟.

بروتوس : مهلاً يا سيدي، نحن نعرفك معرفة جيدة.

مينينيوس : أنتما لا تعرفاني، ولا تعرفـان نفسيكما، ولا أي شيء آخـر. ولا تـطمحـان إلا لـرؤيــة النـاس المساكين يرفعـون لكم القبعات ويجثون. إنكما لتمضيـان صباحـاً جميلاً مفيـداً بالاستمـاع إلى قضيةٍ بين بائعة برتقال وبائـع حنفيات، ومن ثم تؤجـلان مناقشـة العشرين فلسـاً إلى جلسة يـوم ثـان!. وعندمـا تجلسان للنـظر في أمـر مـا بين فـريق وفريق، فـإذا قرصكمـا المغص، تقضب وجهاكما كالممثلين الصامتين، ورفعتمـا البيرق الدامي ضد الصبـر الجميل وأوقفتمـا المرافعـة وما زالت بعد داميـة، ونظركمـا فيها قـد زاد في

تعقيدها، وأنتما تصرخان في طلب قعّادة وما تحققانه من مصالحة في القضية هو أن تدعُوا كلًّا من الفريقين نَذْلاً، وكفى! يا لكما من زوج غريب!.

بروتوس : مهلاً، فالجميع يعرف أنك مهرج بارع للوليمة، أحسن منك شيخاً ضرورياً للكابتول.

مينينيوس : لكان حتى كهّاننا يسخرون لو أنهم التقوا أفراداً مضحكين مثلكما! إن أبدعتما كلاماً، فإن ما تنطقان به لا يساوي تحريك اللحية منكما، واللحية منكما غير جديرة بكرم الدفن كحشوٍ في وسادة رقّاعٍ خرِق، أو بأن تدفن أخيراً داخل بردعة حمار. ومع ذلك لا بدّ لكما من القول إن مرسيوس متعجرف، وهو الذي يساوي، على أبخس تقدير، أسلافكما جميعهم منذ ديوكاليون، ولو أن البعض من خيارهم ربما كانوا جلّادين أباً عن جد. طاب مساؤكما: فالمزيد من حديثكما سيصيب دماغي بالعدوى، وأنتما الراعيان لوحوش الرعاع. سأتجرأ في الاستئذان منكما.

(يقف بروتوس وسيسنيوس جانباً)

(تدخل فلومنيا، فيرجليا، وفليريا).

أهـلاً بالسيـدات الفاتنـات النبيلات! لـو كـانت إلَهـة القمـر من أهـل الأرض لمـا كـانت أنبـل منكن. أين تتبعن عيونكن بهذه العجلة؟.

فلومنيا : مينينيوس الكريم! إن ولدي مرسيـوس يقترب. ألا حبّاً بجونو، لنذهب!.

مينينيوس : ها! مرسيوس يؤوب إلى الوطن!.

فلومنيا : أجل، وبأعظم التوفيق والتقدير.

مينينيوس : خـذ قبعتي، يـا جـوبيتـر، والحمـد لـك! هـا! مرسيوس يؤوب إلى الوطن.!

فيرجليا وفليريا : نعم، صحيح.

فلومنيا : انظر، هذه رسـالة منـه: وهناك أخـرى للدولة، وأخرى لزوجته. وأعتقد أن في الدار رسالة لك أيضاً.

مينينيوس : لأجعلنّ بيتي يتـرنح نشـوة هـذه الليلة: رسـالـة لي!.

فيرجليا : نعم، أؤكد أن هناك رسالة لك. شاهدتها.

مينينيوس : رسالة لي! إنهـا تهبني ضمانـة سبعة أعـوام من العافية سأزدري فيها الطبيب: ولن تكون أنجـع وصفـات جالينـوس إلا كذبـاً في كـذب بـل لن تكون، قياساً على هذا الدواء، أفضل فعـلاً من

بول حصان! ألم يجرح؟ كان عادته أن يرجع إلى البيت جريحاً.

فيرجليا : لا، لا، لا.

فلومنيا : آ، لقد جرح، وإني لأحمد الآلهة على ذلك.

مينينيوس : وأنا كذلك، على ألا تكون الجروح وفيرة أيجلب لنا انتصاراً في جيبه؟. إن الجروح لتليق به.

فلومنيا : بل على جبينه. مينينيوس، هذه المرة الثالثة يؤوب فيها إلى الوطن بأكاليل الغار.

مينينيوس : هل يحسن تأديب أوفيديوس؟.

فلومنيا : كتب تيتوس لارتيوس يقول إنهما تبارزا، غير أن أوفيديوس قد فرّ.

مينينيوس : وفي الوقت المناسب، ما من شك. ولو بقي أمامه، لما أردت أن أكون مكانه ولو أعطيت خزائن كريولي كلها وما فيها من ذهب. هل أخذ مجلس الشيوخ علماً بهذا؟.

فلومنيا : لنذهب أيتها النبيلات. أجل، أجل، لقد استلم مجلس الشيوخ كتباً من القائد جعل فيها الفضل كله في هذه الحرب لولدي: لقد تفوق، فيما فعل، على جميع أفعاله السابقة مرتين.

فليريا : في الواقع، تُروى عنه أشياء مدهشة.

مينينيوس : مدهشة! طبعاً، وجميعها قد كسبها عن حق.

فيرجليا : جعلتها الآلهة صدقاً جميعها!.

فلومنيا : صدقاً؟ فقط، فقط!.

مينينيوس : صدقاً! أقسم أنها بأجمعها صادقة. أين جرح؟

(ملتفتاً الى التريبونين)

كانت الآلهة في العون يا سادة! مرسيوس في سبيله إلى الوطن، ولديه المزيد من أسباب الكبرياء. أين جرح؟.

فلومنيا : في كتفه وفي ذراعه اليسرى. ولسوف تكون هناك ندوب كبيرة يريها للشعب عندما يرشّح نفسه للمنصب الذي هو أهل له. يوم ردّ طاركوين على عقبة أصيب بسبعة جروح في جسده.

مينينيوس : جرحٌ في الرقبة، واثنان في الفخذ ـ أنا أعرف تسعة جروح.

فلومنيا : وقبل هذه المعركة كان له خمسة وعشرون جرحاً.

مينينيوس : وهي الآن سبعة وعشرون: وكل منها رفسٌ لعدو.

(صياح وأبواق من الداخل)

اسمعوا! الأبواق!.

فلومنيا : هذه طلائع مرسيوس: يحمل أمامه الضوضاء والصخب، ويخلّف وراءه الدموع والموت، ذلك الروح المظلم، يسكن في ساعده المفتول فإذا رفع الساعد، هوى ـ ويموت عندها الرجال.

(صوت أبواق. يدخل القائد كومينيوس وتيتوس لارتيوس، وبينهما كريولانس متوّجاً بإكليل سنديان ومعهم ضباط وجنود، يتقدمهم بشير).

البشير : يا أهالي روما، اعلموا أن مرسيوس، وحيداً فريداً، قد حارب داخل أبواب كريولي، وهناك، زيادة إلى الشهرة فقد اكتسب اسماً يضاف إلى كيوس مرسيوس ـ يضاف إليهما شرفاً ـ، كريولانس. أهلاً بك في روما، يا ذائع الصيت كريولانس!.

(صدح أبواق)

الجميع : أهلاً بك في روما، يا ذائع الصيت كريولانس!.

كريولانس : كفاني هذا. يكاد صدري يضيق به. أرجوكم الآن، كفى!.

كومينيوس : انظر، يا سيدي، والدتك!.

كريولانس : أنا أعلم انكِ ابتهلت إلى الآلهة جميعها من أجل فلاحي.

(يركع)

فلومنيا : انهض يا جندي الطيب. يا مرسيوس الكريم، يا كيوس الفاضل، واسمك الجديد الذي أحرزته بشريف الأفعال، ما هو؟ ـ هل دعوك كريولانس ـ ولكن، آه، زوجتك.

كريولانس : أيا ساكتتي الرقيقة، سلاماً! هل كنت ستضحكين لو أنني رجعت إليك في نعش وأنت تنوحين لرؤيتي مظفّراً؟ آه يا عزيزتي، مقلٌ كهذه إنما تحملها الأرامل في كريولي والأمهات الثكالى.

مينينيوس : ألا فلتتوجْك الآلهة!.

كريولانس : أما زلت حياً؟ (لفليريا) سيدتي الجميلة، اعذريني!.

فلومنيا : لست أدري أين التفت. أهلاً بك عائداً. وأهلاً بك أيها القائد، أهلاً بكم جميعاً.

مينينيوس : مائة ألف أهلاً ومرحباً بك! بوسعي أن أبكي، وبوسعي أيضاً أن أضحك. مسرور أنا وحزين أهلاً!. ولتحلّ اللعنة في الحبّة من قلب كل من لا يبتهج لرؤيتك! أنتم ثلاثة يجب لروما أن تُجَنّ بهم. ولكن، وحق الرجال، لدينا هنا في الوطن تفاحات حوامضُ عتاق تأبى أن تُطَعّمَ بأذواقكم. ولكن، مرحباً بالمقاتلين، الشوك

ندعوه شوكاً، وأخطاء الحمقى حماقة.

كومينيوس : محقّ، على الدوام.

كريولانس : مينينيوس دائماً وإلى الأبد.

البشير : افتحوا الطريق هناك، وتحركوا.

كريولانس : (لفلومنيا وفيرجليا) يدَكِ، يدَكِ أنت. قبل أن أدخل رأسي منزلنا، لا بدّ لي من زيارة الأشراف الكرام، الذين لم يَصِلوني بالتحيات فقط، بل بأمجاد قشيبة أيضاً.

فلومنيا : لقد عشتُ لأرى أماني تتحقق وكلّ ما شيدته في خيالي. ولكنْ ثمّة أمرٌ واحدٌ ناقص، لا أرتاب في أن مدينتنا روما ستهبك إياه.

كريولانس : اعلمي يا أماه أنني أفضل أن أكون لهم خادماً على طريقتي على أن أحكمهم على طريقتهم.

كومينيوس : هلموا، إلى الكابتول!.

(أبواق. يخرجون على نحو مراسيمي، كما دخلوا. يتقدمهم بروتوس وسيسنيوس)

بروتوس : كل الألسنة تلهج بذكره، والأبصار العشواء تلبس النظارات لتشاهده. هذه المرضعة الثرثارة تترك طفلها يختنق بكاءً وهي تهذر عنه. وصبية المطبخ تشد أغلى خامها حول جيدها الأسخم، وتتسلق الحيطان لتتأمله: فالمصاطب

والدكات والشبابيك تَغُصّ، والسقائف تزدحم، وتُمتطَى الحوافّ بوجوه متبـاينة لا تتفق إلَّا على لهفتها للنظر إليه. وكهنةٌ يندر ظهورهم يندسّون بين جماهير الشعب لاهثين ليستطيعوا الحصول على مــوضــع لهم بين الــرعــاع. وسيــداتنــا المتـوشّحـات يسلّمن صـراع الأبيض والـوردي الـذي في وجناتهن البـديعة التـزويق لاستـلاب فاجر من قبلات «فُيبس» المحرقـة. يا للجلبـة! كـأنما الإلٰـه الذي يقتـاده، مهما يكنْ قـد انسل بمكر إلى قواه البشرية مانحاً إياه وقفة رائعة.

سيسنيوس : وإذ هو فجأة، فنصل!.

بروتوس : وعندها، فإن لوظيفتنا أن يأخذها النوم طيلة مدة ولايته.

سيسنيوس : أنـه أضعف من أن يحمل أمجـاده باعتـدال من حيث ينبغي لـه أن يبدأ ويتجـه، ولسـوف يفقـد هذه التي حصل عليها.

بروتوس : وفي ذلك بعض العزاء.

سيسنيوس : ثق أن العــامـة، الــذين نمثلّهم، سينسَــوْنَ، بحقدهم القديم، أمجاده الجديدة هذه لأضعف سبب. ولا شـك لدي في أنـه سيهيىء لهم هذا

السبب، كما لا شك لدي في كبريائه التي تدفعه إلى ذلك.

بروتوس : لقد سمعته يقسم قائلاً: إنه لو رُشّح للقنصلية، فإنه سيأبى الظهور في ساحة السوق، أو ارتداء رداء التواضع الخلق، كما أنه وهو يعرض جروحه على الناس، كما جرت العادة، لن يلتمس أنفاسهم النتنة.

سيسنيوس : صحيح.

بروتوس : هذه كانت كلمته. فهو يفضّل البقاء بدونها على نيلها، إلا بترجي من الأشراف ورغبة من النبلاء.

سيسنيوس : لا أتمنى شيئاً أفضل من أن يتشبّث بإرادته تلك، وأن ينفذها.

بروتوس : سيقوم بذلك، على الأرجح.

سيسنيوس : عندئذ ستكون، كإرادتنا الثابتة، خرابه المؤكد.

بروتوس : إما ذلك، أو انهيار صلاحياتنا. وتحقيقاً للغاية علينا أن نوحي للشعب بما يكنّ لأفراده دائماً من بغض، وأنه لو تمكن لجعل منهم بغالاً، وأصمت المدافعين عنهم، واحتجز حرياتهم، غير معتبر إياهم من حيث العمل الإنسانيّ أو المقدرة، أكثر روحاً أو صلاحية للدنيا من الإبل

في الحرب، التي لا تُعْلَفُ إلا لحمل الأثقال والضرب المؤلم إن هي ناءت بها.

سيسنيوس : إذا أوحينا بهذا، كما تقول، في وقت يكون فيه صلفُه الشديد مثيراً للناس ـ ولن نُعَدَمَ وقتاً كهذا إن حصل واستُفِزّ واستفزازه هيّن كإطلاق الكلاب على الماشية ـ فإن ذلك سيكون ناراً منه تلهب هشيمهم، ولهيبُهم سوف يحجبه إلى الأبد.

(يدخل رسول)

بروتوس : ما وراءك؟.

الرسول : أنتما مطلوبان في الكابتول. هم يفكرون في جعل مرسيوس قنصلاً: ولقد شاهدت البُكْمَ يتزاحمون لمشاهدته والعمي لسماعه يتحدث: الأمهات يرمينَ عليه قفازاتهن، والسيدات والعذارى كذلك يرمينه بالخمار والمنديل وهو في دربه: ينحني النبلاء له كما لتمثال جوبيتر، والعامة يُمطرونه بقبعاتهم ويُرعَدون بصيحاتهم. ما رأيت قط مثل ذلك في حياتي.

بروتوس : لنذهب إلى الكابتول، وكلنا آذان وعيون لما يحدث الآن وأفئدة للنتيجة التي نترجاها.

سيسنيوس : هيا بنا.

المشهد الثاني

(روما. الكابتول)

(يدخل حاجبان لترتيب الحشايا والمقاعد).

الحاجب الأول : أسرع، أسرع. قد أوشكوا على الوصول. كم من رجل قد رُشّح للقنصلية؟.

الحاجب الثاني : يقولون، ثلاثة. ولكن الجميع يعتقدون أن كريولانس هو الذي سينتصر.

الحاجب الأول : فتى رائع، ولكنه صلف متكبر ولا يحب عامة الناس.

الحاجب الثاني : الحقيقة، أن هناك الكثيرين من العظماء ممن تملقوا عامة الناس ولم يحبوهم أبداً. وهناك الكثيرون ممن أحبهم عامة الناس وهم لا يعلمون السبب: إذن، إن كانوا يحبون لسبب يجهلونه، فإنهم لا يبغضون لسبب أكثر وجاهة. ولذلك فإن كريولانس إذ لا يهمه أيحبونه أم يبغضونه إنما يظهر معرفة صحيحة بطبيعتهم. وللنبل في لا مبالاته، فإنه يتركهم يرون ذلك بوضوح.

الحاجب : لو لم يهمّه أيحبونه أم لا، لراوح بلا مبالاة بين

الأول البـر بهم والإساءة إليهم. إلاَّ أنـه يبغي بغضهم بحـرارة أشد ممـا بـوسعهم أن يهبـوه، ولا يقلع عن أي عمـل يكشف عن مضـادتــه لهم. فـإن يبـدو طالبـاً مقـت النـاس وغضبهم ليس بـأقـلّ سـوءاً عن هذا الـذي يكرهـه ـ أن يتملّق الناس جل حبهم.

الحاجب الثاني : إن لــه على بلده حقــاً. فـارتقـاؤه لـم يكـن بالدرجات الهينة تلك التي يـرقاهـا رجل يسـاير الشعب ويلاطفه ويرفع له القبعة، دون أي عمل آخر يرفـع من قيمته وسمعتـه لدى النـاس. لقد زرع أمجاده في عيونهم، وأفعاله في أفئـدتهم، فـإذا أمسكوا اللسـان عن الإقرار بـذلـك، كـان ذلـك نوعـاً من العقوق والأذى. وإذا تفـوّه أحد بغيـر ذلك، كـان حـديثـه حقـداً يكـذّب نفسـه بنفســه، ولا يجني سوى التـأنيب والتـوبيـخ من كلّ أذن تسمعه.

الحاجب الأول : كفى حـديثاً عنـه. إنه نِعْم الـرجل. هيّـا. لقـد وصلوا.

(صـوت أبواق. يـدخل شـرطة يفسحـون الطريق أمـام القنصل كومينيوس، ومينينيوس، وكريولانس، وشيوخ، وسيسنيـوس، وبـروتـوس. الشيـوخ يحتلون أمـاكنهم،

والتريبونات يحتلون أماكنهم على حدة، أما كـريولانس فيبقى واقفاً).

مينينيوس : الآن وقـد خلصنا من الفـولسيين وبانتـظار قدوم تيتـوس لارتيوس، بقي علينـا ـ كبند رئيسي في هذا الاجتماع اللاحق ـ أن نكافئه على خدمتـه النبيلة بعـد أن أجاد الـدفاع عن وطنـه. ولـذا، تفضلوا أيها الشيوخ المبجلون الأجلاء، واسألوا القنصـل الحالي والقـائد الأخيـر في انتصاراتنـا الموفّقة، أن يقصّ علينا بعضاً من روائع ما فعل كيوس مرسيوس كريولانس، هذا الذي اجتمعنا هنا لنشكره ونُكرمه بأمجاد تليق بـه.

الشيخ الأول : تكلم، أيها الفاضل كومينيوس. لا تترك شـاردةً خوفاً من الإطالة، واجعلنـا نعتقد أن دولتنـا هي العاجزة عن الجزاء لا نحن في تطويعها لذلك.

(إلى التريبونات)

يا سادة الشعب لـطفاً أعيـرونا آذانكم، ومن ثم حسن نفوذكم عند جمـاهير العـامة كي يـوافقوا على ما يحدث هنا.

سيسنيوس : لقد دعينا للتصديق على معاهدة سارّة، وأفئدتنا تميل إلى رفع شأن موضوع اجتماعنا وتكريمه.

بروتوس : ولسوف نلاقي بركة في صنع ذلك إن هـو وضع

في باله قيمةً للشعب أعزّ مما فعل حتى الآن.

مينينيوس : إن ذلك خارج عن الموضوع. ليتك بقيت ساكتاً. أتود أن تستمع إلى كومينيوس يتكلم؟.

بروتوس : بكل طيبة خاطر. غير أن تحذيري كان وارداً أكثر من تأنيبك.

مينينيوس : إنه يحب شعبك. ولكن لا تجبره على مشاركته الفراش. كومينيوس الفاضل، تكلم.

(كريولانس يبدي رغبة في الخروج)

أرجوك، لا تترك مكانك.

الشيخ الأول : اجلس، يا كريولانس، ولا تخجل لسماع ما فعلتَهُ بنبل وشرف.

كريولانس : أرجو الصفح من سيادتكم. إني لأفضل أن تندمل كلومي من جديد على أن أسمع كيف أصبتُ بها.

بروتوس : سيدي، أرجو أن كلماتي لم تغضبك.

كريولانس : كلا يا سيدي. ولكن كثيراً ما وجدت أنني أصمد للضربات، وأهرب من الكلمات. أنت لم تنافق، ولذا لم تؤلم. ولكن شعبك ـ إنني أحبه بقدر ما يزن.

مينينيوس : أرجوك الآن، اجلس.

كريولانس : إني لأفضل أن يَشُجّ أحدهم رأسي في الشمس

حين يصدح نفير القتال، على أن أجلس كسولاً
لأسمع صغائري تُضخّم كالأعاجيب.

(يخرج)

مينينيوس : يا سادة الشعب، بزرتكم المتكاثرة هذه، كيف له أن يتملّقها ـ وهي ألفٌ لكل واحدةٍ صالحة ـ وها أنتم ترون أنه يؤثر المخاطرة بجميع أعضائه طلباً للشرف على المخاطرة بإحدى أذنيه بالاستماع إلى من يمدحُه؟ تفضل، كومينيوس.

كومينيوس : إن اللسان ليخونني: وفعال كريولانس لا يجوز التفوه بها بضعف. يقال إن الشجاعة أساس الفضائل، وأشدّها رفعة لقدر صاحبها: وإذا كانت كذلك فإن الرجل الذي أتكلم عنه ليس في الدنيا من يوازيه بمفرده ففي سن السادسة عشرة من عمره ـ يوم هاجم طار كوين ـ روما، قاتل قتالاً ناف صولة الآخرين. ودكتاتورنا يومئذ ـ وإني لأومىء إليه مادحاً ـ رآه يقاتل، وهو بذقنه المرداء يسوق الشوارب الكبيرة أمامه، لقد قام مكافحاً عند رأس روما الجريحة، وعلى مرأى من القنصل أوقع ثلاثة قتلى: وطار كوين، ذاته، جابهه وأوقعه على

ركبته. ففي ضراب ذلك اليوم حين كان عليه أن يمثل دور المرأة في المسرح أثبت أنه خير الرجال في الميدان، وتقديراً له كلّلوا جبينه بالسنديان. وإذ تحول هكذا من مرحلة التلمذة إلى مرحلة الرجال، غدا كبيراً كالبحر، وفي سعير سبعَ عشرة معركةً بعد ذلك انتزع الأكاليل من كل حسام. وفي هذه الأخيرة أمام كريولي وفي داخلها، دعوني أخبركم: لن أستطيع وفاءه حقه. لقد أوقف الهاربين، وبقدرته النادرة جعل الجبان يحوّل الخوف والرعب إلى لهو ومرح وكالأعشاب أمام سفينة مشرعة، هكذا خضع له الرجال ووقعوا تحت قدمه: حسامه خاتم الردى، حيثما طبع، قتل. من وجهه حتى القدم كان نجيعاً كله، وكل حركة منه تأتي على إيقاع من صرخات المنايا. بمفرده اقتحم الأبواب القاتلة إلى المدينة، وصبغها بمصير لا يُردّ. وخرج دونما معاونة، وبمدد فجائي سقط كالنجم على كريولي: وكان الجميع له. وإذا قعقعة الوغى، بعد قليل، تخرق سمعه المعدّ، وفي الحال أنعشت روحُه الوثابة ما كان في البدن قد تعب وكلَّ، وأسرع إلى المعركة،

حيث راح يجري دامياً فوق أعمار الرجال، كأنها غنيمة لا آخر لها. وإلى أن أعلّنا أننا أرباب الميدان والمدينة، ما وقف لحظة ليريح صدره باللهاث.

مينينيوس : يا للرجل الكريم!.

شيخ أول : ما فصّلنا له من مجد وشرف لن يكون إلا على قدره ومقاسه.

كومينيوس : غنائمنا رفسها بقدمه، ونظر إلى النفائس كأنما هي قاذورات الدنيا: هو يشتهي ما هو أقلّ من عطاء البائس بالذات، ويجزي أفعاله بمحض فعلها، ويقنع من وقته بقضائه وحسب.

مينينيوس : نبيل هو عن حق! اطلبوا حضوره.

شيخ أول : ادعوا كريولانس.

موظف : لقد قدم.

(يدخل كريولانس ثانية).

مينينيوس : أنه ليسر مجلس الشيوخ يا كريولانس، أن يعيّنك قنصلاً.

كريولانس : أنا مدين لهم بحياتي وخدماتي إلى الأبد.

مينينيوس : لم يبق إذن إلا أن تتكلم إلى الشعب.

كريولانس : أبتهل إليكم أن تتركوني أتخطى هذه العادة لأنني لا أقدر أن أرتدي الثوب، وأقف عارياً،

وأرجـــوهم، من أجـــل كلومي، أن يمنحـــوني أصواتهم. أرجو أن تسمحوا لي ألا أفعل ذلك.

سيسنيوس : مـولاي، إن الشعب يصـرّ على أصـواتـه، ولن يتنازل عن قيراط من شعاراته.

مينينيوس : لا تَهجهم. أرجـوك، لائم بينـك وبين العـادة، وكما صنع الذين سبقوك، خـذ لنفسك مـركزك بمراسيمك المقرّرة.

كريولانس : إنه دور سأخجـل من القيام بـه، يحسن تجريـد الشعب منه.

بروتوس : (لسيسنيوس) هل سمعت ذلك؟.

كريولانس : أن أتبجّـح أمـامهم بـأنني صنعت كـذا وكـذا وأعـرض عليهم الندبـات التي لا تؤلم ويجمـل بي سـرّها وكـأنني إنمـا نلتهـا أجـراً لأصـواتهم فقط!.

مينينيوس : لا تصـرّ على الـرفض يـا تـريبـونـات الشعب، نسـألكم أن توصـوا الشعب بما نـوينا لـه ولندعُ كلنا لقنصلنا النبيل بالفرح والمجد.

الشيوخ : الفرح والمجد لكريولانس!.

(صـدح أبـواق، يخـرج الجـميـع، إلا بـروتـوس وسيسنيوس)

بروتوس : أترى كيف ينـوي معاملة الشعب؟

سيسنيوس : نـأمل أن يـدرك الشعب نيته سيـطلب من الناس وكأنه يحتقر ما يسألهـم أن يمنحوه.

بروتوس : هيّا، لننبئهم بما قد حدث هنا: أنا أعـرف أنهـم ينتظروننا في ساحة السوق.

(يخرجان)

المشهد الثالث

(روما. الفورم (منتدى المدينة)

(يدخل عدد من المواطنين)

مواطن أول : للمرة الأخيرة أقول: إذا سألنا أصواتنا، ينبغي ألا نمسكها عنه.

مواطن ثان : بل قد نمسكها عنه يا سيدي، إن أردنا.

مواطن ثالث: نحن لدينا الصلاحية لصنع ذلك، ولكنها صلاحية لا صلاحية لدينا لتنفيذها: لأنه إذا عرض كلومه علينا وقصّ علينا أفعاله، علينا أن نضع ألسنتنا في تلك الكلوم، ونتكلم عنها. أجل، إذا روى لنا أفعاله النبيلة، وجب علينا أن نروي له قبولنا النبيل بها. الجحود أمر وحشي، والجمهور إذا كان ناكراً للجميل، جعل من نفسه وحشاً، ولما كنا نحن أفراداً منه، جعلنا من ذواتنا أفراداً وحشيين.

مواطن أول : وبأقلّ مساعدة منّا هو لن يعتبرنا خيراً من ذلك. فيوم ثرنا لأجل القمح، لم يتردد في تسميتنا بالحشد المختلف الرؤوس.

مواطن ثالث: ما أكثر الذين يدعوننا كذلك! لا لأن بعض

رؤوسنا كستنائي، وبعضها أسود، وبعضها أشقر، وبعضها أصلع، بل لأن ألبابنا هي بهذه الألوان المختلفة. والحقيقة تقال، لو أن ألبابنا خرجت من جمجمة واحدة، لتطايرت شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، ولكان اتفاقها على صراط واحد مستقيم هو السير في كل الاتجاهات.

مواطن ثان: أتعتقد ذلك؟ في أي وجهة ترى أن عقلي سيطير؟.

مواطن ثالث: لا، لن يخرج عقلك أنت بسرعة عقل رجل آخر: فهو محصور بقوة في رأس كالحطبة. ولكنه لو وجد حريته، لطار جنوباً، لا ريب.

مواطن ثان: ولم جنوباً؟.

مواطن ثالث: ليضيع في ضباب كثيف، وهناك إذ تذوب ثلاثة أرباعه بالأنداء العفنة، سيرجع الربع الرابع والضمير يؤنبه، ليساعدك في الحصول على زوجة.

مواطن ثان: لن تتخلى أنت عن ألاعيبك. أكمل أكمل.

مواطن ثالث: هل جميعكم قد عزمتم على إعطاء أصواتكم؟ ولكن ما همَّ فالأكثرية هي التي تقرر، وأنا أقول: لو أنه يميل إلى الشعب، لمَا رأينا رجلاً أكثر جدارة منه.

(يدخل كريولانس مرتدياً ثوب التواضع، ومعه مينينيوس).

: هـا هـو آت، وبلبـاس التـواضـع. لاحـظوا تصرفاته. علينا ألاَّ نبقى جميعاً معاً، بـل يجب أن نمـر به حيث يقف، فـرداً فـرداً اثنين اثنين، ثلاثة ثلاثة. وعليه أن يسأل كـل واحد بمفـرده، فكل فرد منا له الشرف بإعطائه صـوته بلسـانه. ولذا، اتبعوني، أرشدكم كيف تمرون به.

الجميع : قَبِلنا، ورضينا!.

(يخرج المواطنون)

مينينيوس : مـولاي، لست على صـواب ألم تـر أن أكـرم رجالنا قد فعلوا ذلك؟.

كريولانس : ومـاذا يجب عليّ أن أقول؟ «أرجـوك، سيـدي» عليهـا اللعنـة! لا أقـدر أن أسيّـر لسـاني بهـذه السرعة.. سيدي، تأمـل جراحي! لقـد أُصبت بها في خدمة وطني، عندما راح بعض إخوانـك يصيحون ويهربون حتى من ضوضاء طبولنا.

مينينيوس : يـا لـلآلهــة! ينبغي ألا تقـول ذلـك! يجب أن ترغبهم في التأمل فيك.

كريولانس : التـأمـل فيّ! قـاتلتهم الآلهـة! ليتهم يسلونني كالفضائل التي يعجز كهاننا عن تعليمهم إياها.

مينينيوس : ستفسد كل شيء. سـأدعك أرجـوك، كلِّمهم،

أرجوك، على نحو معقول.

(يخرج مينينيوس)

والآن هاك زوج قادم.

(يدخل مواطنان)

أنت تعرف، يا سيدي، سبب وقوفي هنا.

مواطن أول : أجل يا سيدي. أخبرنا ما الذي دفعك إليه.

كريولانس : جدارتي أنا.

مواطن ثان : جدارتك أنت!.

كريولانس : أجل، لا مشيئتي أنا.

مواطن أول : كيف! لا مشيئتك أنت!.

كريولانس : لا يا سيدي، فأنا ما وددت يوماً في إزعاج الفقراء بالاستجداء.

مواطن أول : عليك أن تعرف، إن منحناك شيئاً، فإننا نأمل في مكسب منك.

كريولانس : حسناً إذن، أرجوكما، ما قيمة القنصلية عندكما؟.

مواطن أول : قيمتها هو أن تسألها بلطف.

كريولانس : بلطف! سيدي، أرجوك، أعطني إياها: عندي جروح أريكها، في خلوة بيني وبينك. صوتك الكريم، سيدي. ما رأيك؟.

مواطن ثان : هو لك، سيدي الفاضل.

كريولانس : صفقة، يا سيدي! لقد استجديت صوتين، وحصلت منكما على الحسنة. وداعاً.

مواطن أول : شيء غريب.

مواطن ثان : لو سأل ثانية ـ ولكن، ما هم.

(يخرجان، ويدخل مواطنان آخران)

كريولانس : أرجوكما، أن يتناغم انتخابي قنصلاً مع صوتيكما، فإنني ألبس الرداء المألوف.

مواطن ثالث: لقد استحقيت من وطنك بنَبل، ولم تستحق بنُبل.

كريولانس : لغزك؟.

مواطن ثالث: كنتَ سوطاً على أعدائه، وعصاً على أصدقائه. في الواقع أنت ما أحببت عامّة الناس.

كريولانس : لكان الأحسن أن يزيد ذاك من فضلي عندك، لأنني ما كنت يوماً شعبياً في حبي. سيدي، سأتملّق صديقي الحبيب، الشعب، لعلني أكسب مزيداً من القيمة عنده، إنها حالة يعتبرها الناس كريمة، وبما أن حكمة الاختيار لديهم تفضل قبّعتي على قلبي، سأقوم بالإشارة بهزّة الرأس، وأرفع قبعتي لهم بزيف متقن. أي أنني يا سيدي سأزيّف سحر رجل عاميّ، وأفرقه بسخاء على الراغبين. ولذا، أتوسل

إليكما أن تقبلاني قنصلاً.

مواطن رابع : نأمل أن نلقى فيك صديقاً لنا، ولـذلك نعـطيك صوتينا من القلب.

مواطن ثالث: لقد أصبت بكلوم جمّة من أجل بلدك.

كريولانس : لن أختم معـرفتك بـاطلاعـك عليها. سـأنتفـع كثيراً بصوتيكما، ولن أزعجكما بعد.

كلا : سرّتك الآلهة، يا سيدي!.

المواطنين (يخرجان)

كريولانس : هـذه الأصـوات ما أعـذبهـا من الخيـر لنـا أن نموت، وأن نتضور جوعاً، من أن نتمنى الجزاء الذي نحن نستحقه أصلاً. لماذا وقـوفي هنا في ثـوبي الذئبي هـذا لأطلب من كل فـلانٍ وعلانٍ يمـرّان بي شهـادة لا حـاجـة لي بهـا؟ العـرف يدعوني لذلك. إن يكن علينا أن ننفذ، مـا نص عليـه العرف، في كـل شيء، فلن يجلو الغبـار كـل قديم وسيتـراكم الخطأ جبـلاً عـاليـاً يمنـع الحقيقة عن إظهار وجهها فبدلاً عن الهـزء بها، ليكن الشـرف والمـركـز الأسمى من نصيب من يفعـل ذلك.. لقـد كـدت أفـرغ: تحملت شِقـاً واحداً، فلأقم بالثاني.

(يدخل ثلاثة مواطنين آخرين)

هاكم أصوات أخرى قادمة. أصواتكم..
لأصواتكم حاربت. سهرت لأصواتكم.
لأصواتكم أحمل من الجروح نيّفاً وعشرين،
ولقد شاهدت وسمعت من المعارك قرابة
العشرين لأجل أصواتكم فعلت أموراً عديدة
صغيرة وكبيرة. أصواتكم. في الواقع، أحب
أن أكون قنصلاً.

مواطن خامس : لقد أحسن صنعاً ومن غير الممكن أن يُحرم صوت أي إنسان شريف.

مواطن سادس : إذن، فليصبح قنصلاً. ولتبهجه الآلهة، وتجعل منه صديقاً طيباً للشعب!.

الجميع : آمين، آمين. حفظك الله، أيها القنصل النبيل!.

(يخرجون)

كريولانس : يا للأصوات الفاضلة!.

(يدخل ثانية مينينيوس ومعه بروتوس وسيسنيوس)

مينينيوس : لقد قمت بواجبك المحدد، والتريبونات يمنحونك أصوات الشعب. بقي الآن أن تسرع إلى لقاء الشيوخ مرتدياً الثوب الرسمي.

كريولانس : هل انتهى هذا؟.

سيسنيوس : عادة الطلب قمت بها. والشعب راضٍ بك،

وقد دعي إلى الاجتماع قريباً تثبيتاً لك.

كريولانس : أين؟ في مجلس الشيوخ؟

سيسنيوس : أجل، كريولانس.

كريولانس : هل لي أن أبدّل هذه الملابس؟.

سيسنيوس : نعم، يا سيدي.

كريولانس : سأفعل ذلك بالتوّ. وعندما أعرف نفسي ثانية سأتوجه نحو مجلس الشيوخ.

مينينيوس : سأصحبك. أتأتيان؟.

بروتوس : سننتظر هنا مجيء الشعب.

سيسنيوس : وداعاً.

(يخرج كريولانس ومينينيوس)

لقد حصل عليها الآن، ومن نظراته، أغلب الظن أنها دافئة على فؤاده.

بروتوس : بقلب متكبّر ارتدى الثوب المهلهل هل ستصرف الشعب؟

(يدخل المواطنون مرة أخرى)

سيسنيوس : مرحباً بكم، سادتي! هل انتخبتم هذا الرجل؟.

مواطن أول : وهبناه أصواتنا يا سيدي.

بروتوس : نطلب من الآلهة أن يكون أهلاً لحبكم.

مواطن ثان : آمين، ولكن الذي لاحظته، أنا العبد البائس

الفقيـر، هو أن سخـر منّا لمـا تـوسّـل في طلب أصواتنا.

مواطن ثالث: بل إنه هزأ بنا هزءاً صريحاً.

مواطن أول : كلا، إنما تلك عادته في الكلام. لم يسخر منا.

مواطن ثان : مـا من أحد، فيمـا عداك أنت، إلَّا ويقـول إنـه عـاملنا بـاحتقار. كـان عليه أن يـرينا عـلامـات استحقـاقه ـ الجـروح التي أصيب بها من أجـل بلده.

سيسنيوس : ولكنه فعل ذلك، أنا على ثقة من ذلك.

المواطنون جميعاً : لا، لا. لم يشاهدها انسان.

مواطن ثالث: قال إن به جروحاً بإمكانه أن يريها على حدة وإذ لـوّح بقبعتـه بـاحتقـار، قـال: «أريـد أن أكـون قنصلاً. والعادة القديمة لا تسمح لي بذلـك إلا إذا حصلت على أصـواتكم. هـاتـوا أصـواتكم إذن». ولمـا أعـطينـاهـا، قـال: «أشكـر لكم أصواتكم. شكراً. ما أعذب أصـواتكم. والآن وقـد تـركتم لي أصـواتكم ليس لي بكم شـأن بعد». أليست هذه سخرية؟.

سيسنيوس : لـمـاذا كنـتم جـهـلة فـلم تـلحـظوهـا، وإن لحظتموها، فلماذا هذه اللغة الصبيانية بإعطائـه أصواتكم.

بروتوس : أما كان باستطاعتكم أن تخبروه ـ كما علّمناكم ـ أنه يوم كان لا سلطان له، بل كان خادماً صغيراً للدولة كان خصمكم وعدوّكم، يتكلم دائماً ضدّ حرياتكم وحقوقكم السياسية في بنيان الأمّة، وأنكم، إذ بلغ الآن منزلة الحَوْل والطول في الدولة، إن هو ظلّ بحقده عدو الجماهير اللدود، قد تصبح أصواتكم لعنات عليكم؟ كان عليكم أن تقولوا إن فعاله الكبرى تستحق كلّ ما رشح نفسه له، فجدير بطباعه الكريمة إذن أن يُعنى في أفكاره بكم لقاء أصواتكم، فيبدّل حقده عليكم بحبّ ويصبح لكم السيد الصديق.

سيسنيوس : لو تحدثتم هكذا، كما أشرنا عليكم سابقاً، لاختبرتم روحيته وجرّبتم نزعته، ولأخذتم منه إما وعده الكريم الذي لكم أن تجبروه عليه إذا ما دعت الحاجة، أو لاستفززتم طبعه الحرون الذي لا يتحمّل بيسر أي شرط يكبّله بشيء. وهكذا، إذ تثيرون سخطه كان عليكم أن تنتهزوا فرصة فورة غضبه فتمروا به دون انتخابه.

بروتوس : ألم تلاحظوا أنه بادركم بالطلب باحتقار صريح

وهو بحاجة إلى حبكم: أم تحسبون أن احتقاره لن يؤذِيكُمْ يوم تكون له المقدرة على السحق ألم يكن لأبدانكم قلب فيما بينكم؟ أم أن ألسنتكم لا تصرخ إلاَّ ضد حكم العقل والرشاد؟.

سيسنيوس : هل رفضتم طالباً من قبل؟ والآن رحتم تمنحون ذلك الذي لم يطلب (بل هزء بكم) ألسنتكم التي ترجّاها الآخرون؟.

مواطن ثالث: لم يتم تثبيته بعد، وعلينا أن نمسك عنه.

مواطن ثان : ولسوف نمسك عنه، سأنال خمسمائة صوت بذلك.

مواطن أولْ : وأنا ضِعْف الخمسمائة، ومثيلاتها لدعمها.

بروتوس : اذهبوا حالاً، وقولوا لهؤلاء الأصدقاء أنهم اختاروا قنصلاً سيحرمهم من حرياتهم، ولن يترك لهم صوتاً أكثر من صوت الكلاب التي تُضرب لنباحها بقدر ما هي تُحفظ للنباح.

سيسنيوس : دعوهم يجتمعون. وبوعي أسلم من ذي قبل، تراجعوا جميعكم عن انتخابكم الجهول أكّدوا على كبريائه، ومقته القديم لكم، ثم، لا تنسوا بأيّ ازدراء ارتدى ثوب التواضع، وكيف أنه احتقركم في التماسه، ولكن حبكم إذ تأملتم

في خدماته، حجب عنكم إدراك كنه تصرّفه الراهن، الذي قام به شامتاً، مستهتراً، وفق ما يكنّه لكم من حقد عنيد.

بروتوس : لومونا نحن، نحن تريبوناتكم، بأننا أصرّينا رغم كل العوائق بأن تُلقوا بأصواتكم عليه.

سيسنيوس : قولوا إنكم انتخبتموه بتوصية منا أكثر منكم انصياعاً لحقيقة عواطفكم، وإن ألبابكم انشغلت بما يتوجب عليكم لا بما يحسن بكم أن تفعلوه، فجعَلَتْكم ضد ميلكم تنتخبونه قنصلاً. لومونا نحن.

بروتوس : أجل، لا ترحمونا. قولوا إننا كنا نحاضركم: كيف أنه، في شبابه، راح يخدم وطنه، وكيف أنه داوم على ذلك، وحدثناكم عن شرف نسبه ـ فهو من آل مرسيوس الكرام، الذين منهم انحدر انكوس مرسيوس، ابن ابنة نوما الذي كان ملكاً هنا بعد هوستيليوس العظيم. ومنهم كذلك انحدر بوبليوس وكوينتوس، اللذان جاءا بأفضل مائنا بالأنابيب إلينا، وسنسورينوس، الذي شرّف باسمه ذلك لأنه انتخب مرتين «سنسوراً» كان سلفه العظيم.

سيسنيوس : رجل نسبه كهذا، وبشخصه حقّق أيضاً أطيب

الفعال لنيل سموّ المكانة، أوصيناكم به خيراً. غير أنكم، إذ وزنتم سلوكه الحاضر إزاء ماضيه وجدتم أنه عدوكم اللدود، فارتددتم عن استحسانكم المفاجىء.

بروتوس : قولوا إنكم ما كنتم لتصنعوا ذلك ـ وألحوا في القول ـ لولا إلحافنا عليكم، وحالما تجمّعون من هم مثلكم في الرأي توجّهوا نحو الكابتول.

جميع المواطنين : سنفعل نوشك جميعنا، نندم على انتخابنا.

(يخرجون)

بروتوس : عليهم بها. خير لنا أنت نخاطر بهذا التمرد من أن نتريث في انتظار ما هو ولا ريب أشد خطراً. وإذا ثار حَنقاً لرفضهم، كما هي طباعه، لنرقب غضبه ونستغلّ ما يتيحه من بادرة.

سيسنيوس : هيا إلى الكابتول. سنكون هناك قبل قدوم جمهور الشعب، فيظهر أن هذا الذي دفعناهم إليه، وإن يكن بعضه منهم، وكأنه كله من صنعهم.

(يخرجان)

الفصل الثالث

المشهد الأول

شارع في روما

(أبواق. يدخل كريولانس، مينينيوس، كومينيوس تيتوس لارتيوس، شيوخ، سادة آخرون).

كريولانس : إذن كان تولوس اوفيديوس قد جمع جمعاً جديداً؟.

لارتيوس : نعم يا مولاي. وكان هذا هو السبب في تسويتنا العَجلى.

كريولانس : إذن فالفولسيون يقفون كما من قبل: على استعداد، حين تدفعهم الآونة، للقيام بغزونا من جديد.

كومينيوس : متعبون هم يا مولاي القنصل، ولا أعتقد أننا سنرى راياتهم تخفق في زماننا ثانية.

كريولانس : هلْ رأيت أوفيديوس؟.

لارتيوس : أعطيناه الأمان فأتاني، وراح يسب الفولسيين ويشتمهم، لأنهم سلّموا المدينة بتلك الزراية. وقد تراجع إلى انتيوم.

كريولانس : هل تكلم علي؟.

لارتيوس : أجل يا مولاي.

كريولانس : كيف؟ ماذا؟.

لارتيوس : كيف أنه واجهك مراراً، سيفاً لسيف، وأنه يمقت شخصك أكثر من أي شيء في الدنيا، وأنه يقبل برهن أمواله دونما الأمل باستردادها، لو أنه يقال عنه إنه قهرك.

كريولانس : ويقطن في أنتيوم؟.

لارتيوس : في أنتيوم.

كريولانس : ليت لي عذراً في طلبه هناك كي أواجه حقده المواجهة كلها. أهلاً وسهلاً.

(يدخل سيسنسوس وبروتوس).

انظر، هذان هما من تريبونات الشعب ـ لسان حال العامة. إنني أزدريهما لأنهما يزهوان بالسلطة بشكل لا يطيقه الأشراف.

سيسنيوس : لا تتقدم خطوة أخرى!!.

كريولانس : ها! ماذا تعني؟.

بروتوس : الاستمرار خطر. مكانك.

كريولانس : ما الذي تبدّل؟.

مينينيوس : ما الأمر؟.

كومينيوس : ألم يرض عنه الأشراف والعامة؟.

بروتوس : لا يا كومينيوس.

كريولانس : هل أُعطيت أصواتَ أطفال؟.

شيخ أول : افسحا الطريق، أيها التريبونان! وليذهبنّ إلى ساحة السوق.

بروتوس : الشعب غاضب عليه.

سيسنيوس : توقف، وإلاّ وقع الجميع في فوضى.

كريولانس : هل هذا قطيعكم؟ هل لا بُدّ لهم من أصوات، يمنحونها الآن، وينكرون على الفور ألسنتهم؟ ما هي وظائفكم؟ ولئن كنتم أفواههم، فلماذا لا تتحكمون بأسنانهم؟ ألم تهيّجوهم أنتم؟.

مينينيوس : اهدأ، اهدأ.

كريولانس : إنه لأمر مقصود، ويتعاظم بالمؤامرة الحدّ من إرادة الأشراف والنبلاء. إن تأذنوا به وتسمحوا، عشتم مع من لا يستطيعون أن يحكموا ويرفضون أن يُحكموا.

بروتوس : لا تقل إنه مؤامرة: فالشعب يصرخ بأنك هزئت به، وإنك مؤخراً، عندما أعطي القمح مجاناً، احتججت على ذلك، وهجوت السائلين باسم الشعب، ودعوتهم انتهازيين، ومنافقين، واعداء لكل نبيل.

كريولانس : ولكن كان هذا معروفاً من قبل.

بروتوس : ليس عندهم جميعاً.

كريولانس : وهل أنبأتهم من ذلك الوقت؟ .

بروتوس : كيف؟ أنا أنبئهم .

كومينيوس : يُحتمل منك أن تقوم بأمر كهذا .

بروتوس : ولا يستبعد أن يكون خيراً مما تصنع، مهما يكن .

كريولانس : فيم إذن كوني قنصلاً؟ وحق ذلك السحاب، فلأكن عديم الجدارة مثلك، واجعل مني تريبوناً زميلاً لك! .

سيسنيوس : إنك تظهر المزيد مما يغضب له الشعب: فإن أردت الذهاب إلى حيث أنت قاصد، عليك السؤال عن دربك الذي أضعته بروح أشد دماثة، وإلاّ فما فيك من نبلٍ وشرف لتكون قنصلاً ولن تُقرن كتريبون معه .

مينينيوس : هدوء أيها القوم! .

كومينيوس : يستثار الشعب ويُغرر به . وهذه المهاترة لا تليق بروما، ولا يستحق كريولانس عرقلة لئيمة كهذه تُنصب غشاً وخداعاً في السويّ من طريق مزيته .

كريولانس : تُحدثني عن القمح! هذه كانت كلمتي وسألقيها ثانية .

مينينيوس : ليس الآن، ليس الآن .

الشيخ الأول: ليس في هذه الحدة، سيدي، ليس الآن.

كريولانس : بل الآن، قسماً بحياتي. أما أصدقائي الأنبل، فإني أستميحهم العذر، وأما الكثرة المتقلبة الخبيثة العَبَق، فلينظروا بتمعّن فيّ أنا الذي لا أتملق، يروا فيّ أنفسَهم: إني أقولها ثانية، إننا باسترضائهم نغذّي ضد مجلس شيوخنا زؤان التمرد، والوقاحة، والعصيان، هذا الذي حرثنا له بأنفسنا وبذرناه، وزرعناه، وحين خالطناهم بنا، نحن الفئة النبيلة الشريفة، التي لا الفضيلة تنقصها، لا، ولا القوة، إلا ما جادت به للمتسولين.

مينينيوس : كفى!.

الشيخ الأول: نرجوك، كفى كلاماً.

كريولانس : كفى؟ كما إنني سكبت دمي من أجل وطني غير وجل من سطوةٍ خارجية، هكذا سوف تنحت رئتاي الكلمات أو تتقطعان بحقّ هؤلاء الجُرْب الذين نخاف عدواهم على جلودنا ولكننا سعينا إليها بأظلافنا.

بروتوس : إنك تتكلم عن الشعب كأنك إلّه يعاقب، لا بشر يشاطر البشر ضعفهم ووهنهم.

سيسنيوس : يجدر بنا أن نُعلم الشعب بذلك.

مينينيوس : بماذا، بماذا؟ بسخطه؟ .

كريولانس : سخطي! لو كنت صبوراً كهجعة منتصف الليل لكانت تلك، وحق جوبيتر، هي رغبتي! .

سيسنيوس : إنها رغبة عليها أن تبقى سُمّاً حيثما استقرّت ولن تفعل سمّها أبعد من ذلك .

كريولانس : «عليها أن تبقى!» أتسمعون سلطان الأسماك الصغيرة هذا؟. هل تلاحظون «نهيه» الرهيب؟ .

كومينيوس : إنها مخالفة للقانون .

كريولانس : «عليها أن تبقى!» أيا أشرافاً نبلاء ولكن بلا حكمة، أيا شيوخاً وقورين ولكن طائشين، أهكذا أعطيتم «هيدره» هنا صلاحية اختيار موظف لا تعوزه الجرأة لا أمراً ولا نهياً، وهو بوق الحيّة وفحيحها، أن يقول إنه سيحوّل سيلكم إلى خندق ويتخذ مجراكم لنفسه؟ فإن يكن شديداً، أحنوا جهلكم أمامه. وإن لم يكن، أيقظوا لينكم الخطر من رقاده. إن كنتم علماء، فلا تكونوا كالبلهاء من الناس. وإن يعوزكم العلم فليجلسوا على الحشايا بقربكم. أنتم الدهماء إن كانوا هم الشيوخ، وما هم بأقلّ من ذلك إذ تختلط أصواتكم بأصواتهم فتجدون

أن الطعم الطاغي هو مذاقهم. هم يختارون قاضيهم، وإذا هو رجل مثل هذا، يجابه بأمره، بأمره الشعبي، جمعاً من شيوخ لم يعبس مثلهم شيوخ في اليونان. قسماً بجوبيتر، إن هذا ليحطن من قيمة القناصل وقدرهم! ويحزّ في نفسي، حين تقام سلطتان معاً إحداهما لا تعلو الأخرى، إن أعلم ما أسرع ما تُقحم الفوضى نفسها في الشقّ بين الاثنين لضرب الواحدة بالثانية.

كومينيوس : حسناً. هلموا إلى ساحة السوق.

كريولانس : ومهما يكن، أولئك الذين أشاروا بتوزيع قمح الخزينة بالمجان، فكما حدث مرة في اليونان.

مينينيوس : كفى، كفى، هذا الموضوع.

كريولانس : ولو أن الشعب هناك كان يتمتع بسلطة أوسع - أقول، إنهم غذّوا التمرد واستعجلوا دمار الدولة.

بروتوس : ما الذي يدعو الشعب إلى منح صوته لرجل يتكلم هكذا؟.

كريولانس : سأسرد مبرراتي، وهي أفضل من أصواتهم. هم يعرفون أن القمح لم يكن مكافأة منا،

لمعرفتهم الوثيقة أنهم ما قدّموا قط خدمة بدلاً منه: فلما دُفِعوا إلى الحرب، حتى عندما أصيبت الدولة في القلب، أبَوْا أن يعبروا أبواب المدينة، وخدمة كهذه لا تستحق القمح بالمجان، وإذا ما كانوا في القتال، لم يكن في تمرداتهم وثوراتهم، التي أظهروا فيها أقصى بسالتهم، امتداحاً لهم. والتهمة التي كثيراً ما يتهمون بها مجلس الشيوخ، بلا مبرر، لا يمكن أن تكون ناتجة عن هبتنا الصريحة هذه. إذن، ماذا بعد؟ كيف يهضم هذا الصدر المتكاثر جود الشيوخ وكرمهم؟ فلندع الأعمال تعبر عما يمكن أن يكون كلامهم: «لقد طلبناه نحن، عن السواد الأعظم، ومن خوفهم الحقيقي أعطونا ما طالبنا به!» هكذا نحن نحطّ من شأن مراكزنا، ونجعل الرعاع يسمون همومنا مخاوف. وهذا، بمرور الوقت، سيكسر أقفال مجلس الشيوخ لتدخله الغربان وتهرب النسور.

مينينيوس : حسبك يا هذا.

بروتوس : حسبك، وأكثر!.

كريولانس : لا، بل هاك المزيد. وليكن كل ما تُحْلَفُ

الأيمان به، من إلّهي وإنساني، شاهداً على خاتمة كلامي: هذه السلطة الازدواجية، حيث الشق الواحد يُزدرى عن حق، والآخر يُهين بما لا يحده العقل، حيث الحسب والمكانة والحكمة لا تتمكن من أن تنهي أمراً إلا بنعم وكلا من العوام الجهلة ـ لا بد لها أن تهمل الحاجات الحقيقية، وتنصاع حينئذٍ للتفاهات القلقة: وإذا حُجبت الغاية، لم يبق شيء يعمل عن غاية. ولذا، أرجوكم، أنتم الذين تنيف الفطنة لديكم على الوجل وتُحبّون جوهر الدولة أكثر مما تخافون تبدّله وتفضلون الحياة النبيلة على الطويلة، وتودون المخاطرة ببلسم خطر على جسد، حتفة محقّقٌ بدونه ـ اجتثوا، على الفور، لسان الجماهير. لا تتركوها تلحس الحلاوة التي هم سم لها: إنّ عاركم يفسد عليكم سداد الرأي، ويُفقد الدولة ذلك الاتحاد الذي يجب أن تتحلّى به، إذ تعجز عن صنع الخير الذي تريده بسبب الشر المتحكّم بها.

بروتوس : لقد تكلم بالكفاية!.

سيسنيوس : كخائنٍ تكلم، وعليه تحمّل التّبعة ككل خائن.

كريولانس : ألا فليزدردك الحقد، أيها التعس! ما فائدة

الشعب من هؤلاء التريبونات الحمقى، فإذا اتكل عليهم خذلت طاعته، مجمع الشيوخ الأكبر وانتخابهم ما حصل إلا في ثورة سنّتها هي ما لا محيد عنه لا ما هو جيد وخير وفي ساعة أفضل. لنقل إن ما هو جيد وخير هو الذي لا محيد عنه، ونرمي بسلطتهم عرض الحائط.

بروتوس : خيانة واضحة!.

سيسنيوس : هل هذا قنصل؟ كلا؟.

بروتوس : يا رجال الايديل، علينا بكم!.

(يدخل الايديل)

ألقِ القبض عليه!.

سيسنيوس : اذهب، ونادِ الشعب.

(يخرج الايديل)

وباسم الشعب فإنني أنا اعتقلك كصاحب بدعة خائن، وعدو للمصلحة العامة. أطع، إني آمرك، واتبعني لتلقى جزاء جرمك.

كريولانس : ابتعد، أيها التيس الكهل!.

شيوخ وآخرون : إننا نكفله.

كومينيوس : يا سيدي الشائب، كُفّ يَدَك.

كريولانس : ابتعد أيها النتن الوسخ! وإلاَّ هززتُ عظامك لتنفر من ثيابك.

سيسنيوس : النجدة أيها المواطنون!

(يدخل جمع خليط من المواطنين، مع رجال الايديل).

مينينيوس : كلا الجانبين، مزيداً من الاحترام.

سيسنيوس : هو هنا، ذاك الذي يريد تجريدكم من كل سلطة.

بروتوس : اقبضوا عليه، يا شرطة!.

مواطنون : فليسقط! فليسقط!.

شيوخ : السلاح، السلاح، السلاح!.

وآخرون (يصخب الجميع حول كريولانس، صارخين).

التريبونات! الأشراف؟ المواطنون! هيا، هيا، سيسنيوس! بروتوس! كريولانس! يا مواطنون! اصمتوا، اسكتوا! كفى، كفّوا، اصمتوا!.

مينينيوس : ما الذي سيحدث؟ انقطع نفسي، اقتربت الفوضى، لا استطيع الكلام. أنتم، يا تريبونات الشعب! كريولانس، صبراً! تكلم، أيها الفاضل سيسنيوس.

سيسنيوس : أيها الشعب، استمعوا إلي! اصمتوا.

مواطنون : لنستمع إلى تريبوننا! صمتاً تكلم، تكلم.

سيسنيوس : أنتم على وشـك فقدان حـرياتكم. فمـرسيوس يـريد تجـريدكم من كـل شيء مرسيـوس الذي عينتموه قنصلاً مؤخراً.

مينينيوس : عيب، عيب! إنـك على هـذا النحـو لا تخمـد النار، بل توقدها.

شيخ أول : تدمر المدينة، وتهدم كل شيء.

سيسنيوس : وهل المدينة إلاَّ الشعب؟.

مواطنون : صحيح، الشعب هو المدينة.

بروتوس : لقد تثبتنا، بالقبول من الجميع، قضاة للشعب.

مواطنون : وما زلتم كذلك.

مينينيوس : محتمل جداً.

كومينيوس : هـذه هي السبيل إلى تقـويض المدينـة، وهـدم السقف على الأسـاس، وطمـر كـل شيء بـارز المعالم تحت ركام وأكوام من الخراب والـدمار

سيسنيوس : عقوبة هذا، الإعدام.

بروتوس : إما أن نتشبّث بسلطتنا، أو فلنفقدها. نحن هنـا ننـطق بـالحكم، بـالنيـابـة عن الشعب الـذي اختارنا بسلطتـه للنيابـة عنه: مـرسيوس يستحق الإعدام في الحال.

سيسنيوس : ولـذلك، اقبضـوا عليه!. وخـذوه إلى الصخرة «الطاربيه»، ومنها ارموا به إلى حتفه.

بروتوس : أيها الايديل، اعتقله!.

مواطنون : سلّم نفسك يا مرسيوس!.

مينينيوس : كلمة واحدة مني، اسمعوها أرجوكم أيها التريبونات، كلمة واحدة فقط اسمعوها.

الايديل : صمتاً، صمتاً!.

مينينيوس : كونوا فعلاً، كما تبدون، أصدقاء وطنكم، وسيروا باعتدال إلى هذا الذي تودون تصحيحه بالعنف.

بروتوس : سيدي، هذه الوسائل الباردة التي تبدو شبيهة بإسعافات حكيمة، شديدٌ سُمّها إذا كان المرض عنيفاً. اعتقلوه واحملوه إلى الصخرة.

كريولانس : لا، بل سأموت هنا! (يجرّد سيفه).
بينكم من شاهدني أقاتل. تعالوا، جرّبوا على أنفسكم ما شاهدتموني أفعله.

مينينيوس : أغمد ذلك السيف! يا تريبونات، انسحبوا برهة.

بروتوس : اقبضوا عليه.

مينينيوس : أنجدوه! انجدوا مرسيوس يا ذوي المروءة، انجدوه، عجائز وشباناً.

مواطنون : فليسقط، فليسقط!.

(في هذا العراك، يُغلب التريبونات والايديل والشعب على أمرهم، ويندحرون إلى خارج المسرح).

مينينيوس : اذهبوا إلى منازلكم! اذهبوا، هيا! وإلاّ فقدنا كل شيء.

شيخ ثان : اذهبوا.

كريولانس : اصمدوا! إن لنا من الأصدقاء بقدر ما لنا من الأعداء.

مينينيوس : انتهي بالأمر إلى ذلك؟.

شيخ أول : لا سمحت الآلهة! أرجوك أيها الصديق النبيل، اذهب إلى دارك. دعنا نعالج الأمر.

مينينيوس : لأن هذه قُرحةٌ بنا لا تستطيع أنت شفاءها اذهب، أرجوك.

كومينيوس : هيّا معنا يا سيدي.

كريولانس : ليتهم كانوا برابرة ـ فهم برابرة لا رومانيين وإن تكن روما قد أنجبتهم. لا رومانيين، فهم ليسوا كذلك حتى ولو ولدوا كالبقر على مدخل الكابتول.

مينينيوس : اذهب، لا تحمّل لسانك نيل غضبك. لكل يوم يوم مدين له.

كريولانس : باستطاعتي، في ظروف عادلة، أن أغلب أربعين منهم.

مينينيوس : وباستطاعتي أنا أن أتناول زوجاً من خيرة رجالهم ـ التريبونيين.

كومينيوس : غيــر أن أكثــرهم الآن يتخــطى الحســـاب.
والرجولـة تسمى حماقـة إن هي تصدّت لبنيـانٍ يتداعى. فهلاّ انصرفتم قبل رجوع الغوغاء؟ إن غضبهم يحطّم كالسيـول، إذا سقطت قلبت مـا كانت تحمله.

مينينيوس : أتضرع إليك أن تـذهب! سأرى إن كـان ذكائي المعهـود مطلوبـاً عنـد الـذين ليس لهم منـه إلا القليل. لا بدّ من رَقْع هذا الخُرْق بقطعة قماش من أي لون.

كومينيوس : هيا، تفضّل معي.

(يخرج كريولانس، وكومينيوس، وآخرون)

شريف أول : لقد أفسد هذا الرجل مصيره.

مينينيوس : طباعه أنبـل من أن تصلح لهذا العـالم. فهو لن يتملّق نبتـون طلباً لصـولجانـه ولا جوبيتـر طلبـاً لجبـروت رعده. فمه لسـانـه قلبـه: مـا يصنعـه صدره، ينطق به لسانـه. وإذا غضب، نسي أنه قد سمع يوماً للموت اسماً.

(صخب من الداخل)

عدنا إلى الروائع؟.

شريف ثان : ليتهم كانوا في أسرّتهم.

مينينيوس : ليتهم كـانوا في نهـر التيبر! عليهم اللعنـة، أمـا

كان يستطيع أن يجمل لهم القول؟ .

(يدخل ثانية بروتوس وسيسنيوس مع الجمع الخليط).

سيسنيوس : أين هذا الثعبان الذي يريد الهلاك لأهل المدينة ليكون وحده كل إنسان؟ .

مينينيوس : يا حضرات التريبونات. .

سيسنيوس : سيُرمى به من الصخرة «الطاربيه» بأيد قوية. لقد ناهض القانون، ولذا فإن القانون، ازدراءً به، لن يُتيح له محاكمة، هذه التي يعتبرها هو لا شيء.

مواطن أول : وليعرف حق المعرفة أن التريبونات الأفاضل هم أفواه الشعب، وإننا نحن أيديهم.

مواطنون : تماماً، لا بد.

مينينيوس : سيدي، سيدي.

سيسنيوس : صمتاً.

مينينيوس : لا تصرخوا بالويل والثبور، وطرادُكم بعد غير أكيد.

سيسنيوس : سيدي، كيف حصل واستطعت أن تساعد في انقاذ الطريد؟ .

مينينيوس : اسمعني اتكلم: كما أعرف مزايا القنصل، هكذا باستطاعتي أن أعيّن نقائصه.

سيسنيوس : قنصل؟ أي قنصل؟ .

مينينيوس : القنصل كريولانس.

بروتوس : هل هو قنصل؟.

مواطنون : لا، لا، لا، لا، !.

مينينيوس : إذا أذن لي التريبونان، وإذا أذنتم لي أيها الطيبون، أن تستمعوا إلي، أرجو أن أقول كلمة أو اثنتين، لن تسببا لكم من الأذى أكثر من إضاعة شيء من الوقت.

سيسنيوس : تكلم بإيجاز إذن. لأننا مصرّون على القضاء على هذا الخائن الثعبان. فإبعاده عن هنا ليس إلا خطراً واحداً، أما إبقاؤه فهو حتفنا المؤكد. ولذا فقد تقرر أن يموت هذه الليلة.

مينينيوس : لا سمحت الآلهة لروما، مدينتنا الشهيرة، التي سطّر عرفانُها جميل أبنائها الجديرين في كتاب جوبيتر نفسه، أن تلتهم الحين أولادها كأمّ شاذة!.

سيسنيوس : إنه داءٌ ينبغي أن يُستأصل.

مينينيوس : آه، إنه عضو فيه داء، مميتٌ إذ بُتر، وشفاؤه ممكن وهين. ما الذي صنعه لروما كي يستوجب الموت؟ قسماً لكم، إذا راح يقتل الأعداء، فقد من الدم أكثر مما في عروقه بوزن كثير، لقد استُنزف من أجل وطنه. أما أن

يَستنـزف وطنُه مـا فضل من دمـه فـإن ذلـك لنـا جميعنا، من يفعله ومن يسمحُ بـه، وصمةُ عـارٍ إلى أبد الآبدين.

سيسنيوس : هذا تحريف كامل.

بروتوس : اعوجاج خالص. فهو عندما أحب وطنه، كرّمـه الوطن.

مينينيوس : لو أصيبت القَدَمُ بـالجذام، ألا تُحتـرم خدمتُهـا لما كانت عليه من قبل؟.

بروتوس : لن نستمـع للمـزيـد الحقـوه إلى داره. واقتلوه فيـه. وامنعوا داءه، لشـدة عدواه، من السّـرَيان بعد اليوم.

مينينيوس : كلمـة أخرى، كلمـة فـريـدة يـوم يـرى هـذا الغضب، النمـري الأقـدام، ضـرْر السـرعـة الـطائشـة، سيـربط وقـد فـات الأوان اثقـالاً رصـاصية بـأعقـابـه. سيـروا حسب الأصـول، مخافة أن تثار الأحزاب ـ فهـو محبوب ـ وروما العظيمة تُنهب وتُسرق بأيد رومانية.

بروتوس : لو كان الموضوع كذلك.

سيسنيوس : مـا هـذا الكـلام؟ ألم نـذق طعم طـاعتـه؟ ألم يضرب شرطتنا؟ ألم يقاومنا؟ هيا.

مينينيوس : تأملوا هذا: لقد نشأ وتـرعرع في الحـروب منذ

أن استلّ سيفاً، ولم يحسن تعلم لغة الأدب.
يلقي القمح والنخالة معاً دونما تمييز، فاسمحوا لي أن أذهب إليه، وأتعهد بالمجيء به إلى حيث يستجوب بشكل قانونيَ، وفي أمان، مهما يكن القصاص.

شيخ أول : أيها التريبونان الكريمان، هذه هي الوسيلة الإنسانية: أما الطريق الأخرى فلن تكون إلا دموية، وخاتمتها مجهولة لدى بدايتها.

سيسنيوس : أيها الكريم مينينيوس، فلتكن أنت إذن كموظف الشعب أيها السادة، أخفضوا سلاحكم.

بروتوس : لا تذهبوا إلى منازلكم.

سيسنيوس : لقاؤنا في ساحة السوق. (لمينينيوس). سننتظرك هناك. وإذا لم تحضر مرسيوس معك، رجعنا إلى طريقنا الأولى.

مينينيوس : سأحضره لكم. (للشيوخ) أرجو صحبتكم. ينبغي أن يأتي، وإلا فإننا قادمون على الأسوأ.

شيخ أول : تفضل. لنذهب إليه.

(يخرجان)

المشهد الثاني

(غرفة في منزل كريولانس)

(يدخل كريولانس وبعض الأشراف)

كريولانس : ليقوضوا كل شيء فوق رأسي. ليقدموا لي الموت على العجلة أو تحت حوافر جياد هائجة، أو فليكوّموا عشر تلال على الصخرة الطاربيه ليمتد الانحدار سحيقاً إلى ما لا يدركه البصر. ولكنني سأبقى أقف إزاءهم هكذا إلىِ الأبد.

شريف أول : فعالك هي الأنبل.

كريولانس : يدهشني أن والدتي ما عادت توافقني، وهي التي كانت تدعوهم بالأذلّاء الصوفيين، بالخُشُب التي تباع وتبتاع بالنقير، تعرض جواسر الرؤوس في مجتمع، وتتثاءب، وتجمد، وتعجب، إذا ما وقف أحد من طبقتي ليتكلم عن السلام أو الحرب.

(تدخل فلومنيا)

عنكِ أتكلم: لَم تَمنيتِ لو كنتُ أكثر تلطفاً؟ أتريدين مني أن أخون طبيعتي؟ كان الأحرى أن

تقولي إنني تصرفت كما هو دأبي أن أتصرف .

فلومنيا : آه يا سيدي ، يا سيدي ، كنت آمل لو كنت تتأكد من لبوس سلطتك قبل أن تبليها .

كريولانس : اتركيني .

فلومنيا : لكان بمقدورك أن تكون الرجل الذي هو أنت بالتخفيف من محاولتك أن تكونه : ولكانت معاداتهم لميولك أضعف لو أنك لم تكشف لهم عنها قبل أن يفقدوا المقدرة على معارضتك .

كريولانس : فليُشنقوا! .

فلومنيا : أجل ، وليُحرقوا أيضاً .

(يدخل مينينيوس وبعض الشيوخ)

مينينيوس : لا ، لا ، لقد تماديت في الحدة ، لقد تماديت بعض الشيء ، عليك أن تعود وتصلح ما أفسدت .

شيخ أول : لا علاج إن أبيت فعل ذلك ، إلاَّ أن تنقسم مدينتنا الطيبة قسمين ، وتهلك .

فلومنيا : أرجوك اقبل النصح . إن لي قلباً عنيداً كقلبك ولكنّ لي عقلاً يرشدني إلى استخدام غضبي وثورتي لنتيجة أبرع .

مينينيوس : أحسنتِ القول أيتها النبيلة! قبيل أن ينحني

للقطيع على هـذا الشكل لـولا أن نوبـة الزمـان العنيفـة تـطلب ذلـك دواء للدولـة بـأجمعهـا، لارتديت درعي الذي أكاد أنوء بحمله.

كريولانس : وماذا علي أن أفعل؟.

مينينيوس : ارجع إلى التريبونات.

كريولانس : حسناً. وبعد ذلك؟ وبعد ذلك؟.

مينينيوس : تأسف على ما قلته واعتذر.

كريولانس : إليهم؟ لا أفعلها للآلهة، أفأفعلها لهم؟.

فلومنيا : إنك تكابر أكثر مما يتوجب. ولـو أنك في ذلـك على نبل عظيم إلا حين تقتضي الأزمـات. لقد سمعتك تحدّث أن الشـرف والدهـاء كصديقين متلازمين، ينموان معاً في الحرب: فـإذا سلّمنا بـذلـك، أخبـرني، مـا الـذي في أيـام السلم، يفقده الواحد بسبب الآخر فلا يجتمعان فيه؟.

كريولانس : كفى، كفى.

مينينيوس : سؤال معقول.

فلومنيا : إن كان من النبل والشرف في حروبـك أن تظهـر على غير ما أنت عليه ـ اذ تحقيقاً لمأربك تتبنّى دهاءك ـ ما الخطأ في أن يتلازم الدهاء والشرف في السلم كمـا في الحرب، مـا دامت الحاجـة متماثلة لكل منهما؟.

كريولانس : فيم هذا الإلحاح؟.

فلومنيا : لأن من الـواجب عليـك الآن أن تتكلم إلـى الشعب، لا بما تسوله إليك نفسك، ولا بما يلقّنك إياه قلبك، ولكن بعبارات كالتي يحفظها لسانك، وإن تكن جميعها بنات حـرام وألفاظاً لا يعترف بها الصـدق الذي في صـدرك. وهذا لن يمسّ شرفك بتاتاً أكثر مما يمسه استيلاؤك على مدينة بـألفاظ معسـولة، لـولاها لخـاطرت بمصيرك وبأخـطار سفك دمـاء كثيرة. إني على استعداد للتظاهر بما ليس حقيقتي إذا مـا تطلب مصيـري ومصير اصـدقائي عند المصـاعب أن أفعـل ذلـك بشـرف. أعني بهـذا زوجتـك، ولـدك، وهؤلاء الشيـوخ، والنبـلاء. أمـا أنت فـتفـضـل أن تـظهـر لأصـلاف عـوامـنـا مقـدرتك على التجهم وتـأبى رفدهم بـابتسامـة كـاذبة لكسب حبهم، وضمـان ما قـد يحـطمـه ضياع ذاك الحب.

مينينيوس : مـا أنبلك من سيدة! (لكـريولانس) هلم معنـا. قل لهم قولاً جميـلاً. وبذا قـد لا تخلّص وتنقذ الحاضر الخطر فحسب، بل تستعيد ما سبق أن فُقد.

فلومنيا : أرجوك يا ولدي أن تذهب إليهم، وهذه القبعة بيدك ـ وإذ تمدها بعيداً هكذا ـ سايرهم بهذا! ـ وركبتك تلثم الحصى ـ فإن الحركة في هكذا شؤون تعد فصاحة، وعيون الجهلة أكثر إدراكاً من الآذان ـ وتهز برأسك كثيراً، هكذا، مصححاً قلبك الأبي، وقد اتضع كالتوتة اليانعة التي لا تقاوم لمسة اليد: قل لهم إنك جنديهم، ولترعرعك في المعارك فإنك لم تعتد ذلك الأسلوب الناعم الذي كان يجدر بك استخدامه في خطب ودّهم كما يجدر بهم الإصرار عليه، بيد أنك ستقولب نفسك بعد اليوم، ولا شك، على هواهم، بأقصى ما تملك من قوة وشخصية.

مينينيوس : لو صنعت ذلك، كما تقول والدتك، لوجدت قلوبهم ملك يديك. فإن لهم مغفرات ـ إن طولبوا بها ـ بسخاء بقدر ما لهم من كلماتٍ بلا جدوى.

فلومنيا : أرجوك الآن، اذهب وانتصح. ولو أنني أعرف أنك تفضل اللحاق بعدوّك في دوامة من نار على تملّقه في خميلة مزهرة. هذا كومينيوس.

(يدخل كومينيوس)

كومينيوس : أنا قادم من ساحة السوق. سيدي، من الأفضل والمستحسن أن تجعل لك جماعة قـوية، أو أن تدافع عن نفسك بالهدوء والسكينة، أو الغياب، فالجميع غاضبون.

مينينيوس : الكلام الجميل فقط.

كومينيوس : اعتقـد أن ذلـك مفيــد إن هـو تمكن أن يكيّف روحه لذلك.

فلومنيا : بل يجب عليه أن يفعل ذلك، أرجوك، قل إنك ستفعل، وهلم لها.

كريولانس : هل عليّ أن أبرز لهم يافوخي الأجـرد؟ أعليّ، بلساني الوضيع، أن أكذّب قلبي النبيل وأحمله الأكـذوبة؟ حسناً، سأفعلهـا. ولكن، لـو كـان المهـدد بالفقـدان هذا الكيـان بمفـرده، جسـد مرسيوس هذا، فليسحقوه هباءً ويرمـوا به بـوجه الريح. إلى ساحة السوق لقد أرغمتمـوني الآن على أداء دور لن أنفخ فيه الحياة أبداً.

كومينيوس : هيا، هيا، سنلقنك.

فلومنيا : أرجـوك يا ولـدي، فكما قلت: إن مـدحي قـد جعـل منـك جنـدياً في أول الأمــر، وهكـذا، لتحظى بمدحي من جديد، قم بـدور لم تقم به من قبل.

كريولانس : حسناً، لا بد لي منه، إليك عني، يا نوازعي، ولتحل بي روح عاهرة من العاهرات! ولتنقلب حنجرتي الحربية، التي ما تناغمت إلا وطبلي، إلى قصبة رفيعة الصوت كصوت خصي، أو كصوت عذراء يهدهد الأطفال ليناموا! ولتخيم في وجنتيْ بسمات الأنذال، ولتملأ كأسَيْ نظري دموعُ فتية المدارس! وليتحرّك بين شفتيّ لسان المستعطي، وركبتاي المسلحتان اللتان ما انحنتا يوماً إلا في ركابي، فلتنحنيا كركبَتي من يتسلّم منّاً وإحساناً! لا، لن أقوم بها! خوفاً من أن أكفّ عن إكرام حقيقتي، فأعلّم قلبي بصنع جسدي ضعةً تلصق به.

فلومنيا : لك الخيار، إذن، فإن استجدائي إياك أشدّ مجلبة للعار لي من استجدائك إياهم فليتهشم كل شيء: دع والدتك تستشعر كبرياءك عوضاً عن أن تخشى كبرك الخطر، فأنا أهزأ بالموت بقلب كبير مثلك. اصنع ما يحلو لك. بسالتك كانت بسالتي، لقد رضعتها مني، أما كبرياؤك، فأنت مدين بها لنفسك:

كريولانس : اقنعي، أرجوك، أماه، أنا ذاهب إلى ساحة السوق. لا تعنفيني بعد. سأنتزع حبهم بالدجل

والألاعيب، وقلوبهم بالحيل والخدع، وأرجع إلى البيت محبوباً من ذوي الحرف كلها في روما. انظري، أنا ذاهب. سلام مني إلى زوجتي. سأعود قنصلاً، وإلاَّ فلا تَرْكَني إلى ما يستطيعه لساني من نفاق بعد اليوم.

فلومنيا : اصنع ما تشاء.

(تخرج)

كومينيوس : هيّا! التريبونات بانتظارك. سلّح نفسك للإجابة بلطف. لأنهم مستعدون، كما سمعت، باتهامات أقسى من تلك التي اتهموك بها حتى الآن.

كريولانس : الكلمة هي «بلطف» أرجوكم، تفضلوا. ليتهموني كذباً وتلفيقاً، أما أنا فسأرد بما يليق بشرفي.

مينينيوس : نعم، ولكن بلطف.

كريولانس : حسناً، بلطف، بلطف، إذن!.

(يخرجون)

المشهد الثالث

(المنتدى في روما)

(يدخل سيسنيوس وبروتوس)

بروتوس : بهذا الموضوع اتهمه بقوة، وهو أنه يستهدف سلطة الطاغي المستبد. فإذا راوغنا بذلك شدّد عليه بأنه يمقت الشعب، وأن الغنائم التي أخذت من الأنتياثيين لم توزّع بتاتاً.

(يدخل ايديل)

ماذا، هل سيأتي؟.

ايديل : إنه قادم.

بروتوس : من يصحبه.

ايديل : مينينيوس الشيخ، والشيوخ الآخرون الذين أحبوه دائماً.

سيسنيوس : هل عندك قائمة بالأصوات كلها التي نلناها مسجلة وفق سجل الناخبين؟.

ايديل : نعم، إنها جاهزة.

سيسنيوس : هل جمعتها وفقاً للعشائر؟

ايديل : أجل.

سيسنيوس : ادعُ الشَعب إلى الاجتماع هنا في الحال.

وحين تسمعونني أقول، «هكذا أمرنا، بحق وقوة العامة»، سواء كان ذلك بالموت، أو الغرامة، أو النفي، دعهم عندئذ، إذا قلت غرامة، يصيحون «غرامة!»، أو الموت، يصيحون «والموت!»، مصرّين على الحق العتيد والقوة الكامنة في صدق القضية.

ايديل : سأخبرهم.

بروتوس : وإذا ما بدؤوا بالصياح والصراخ لا تدعهم يتوقفون، بل دعهم باللغط والضجيج يفرضون التنفيذ الفوري لما قد ننطق به من حكم.

ايديل : حسناً جداً.

سيسنيوس : ليكونوا أشداء، ومنتبهين لهذه الأمارة، حالما نشير إليهم بها.

بروتوس : اذهب لمهمتك. (يخرج الايديل) أَثِرْ سُخطه حالاً. لقد اعتاد دائماً قهر الآخرين، والتغلب بقدرته على المعارضة: ولكنه إذا ما استفز، أصبح غير قادر على كبح نفسه أو ضبطها. وعندها قال ما في قلبه، وما في قلبه يظهر أنه، بمساعدتنا، سيدقّ عنقه.

سيسنيوس : ها هو آتٍ.

(يدخل كُريولانس، مينينيوس، كومينيوس، شيوخ، أشراف).

مينينيوس : بهدوء، أتوسل إليك.

كريولانس : أجل، كالسائس الذي يتحمل، مقابل فلسين، أن يُدعى وغداً بالجملة. ألا حفظت الآلهة الكريمة لروما أمنها وسلامها، وأبقت كراسي العدالة مليئة بذوي الفضل والمروءة! وغرست المودة بيننا! وحشدت هياكلنا الرحبة بظواهر السلم لا شوارعنا بظواهر الحرب!.

شيخ أول : آمين، آمين.

مينينيوس : أمنية نبيلة!.

(يدخل الايديل ثانية، مع المواطنين).

سيسنيوس : ادنوا، أيها الناس.

الشرطي : انصتوا إلى تريبوناتكم. اصمتوا، وانصتوا.

كريولانس : أولاً، استمعوا إلي أتكلم.

التريبونات : تفضل. انصتوا يا قوم!.

كريولانس : ألن توجهوا إليّ مزيداً من الاتهام بعد هذا؟ هل سيبت بالأمر هنا؟.

سيسنيوس : إنني أسأل: هل ترضخ لأصوات الشعب، وتعترف بموظفيه، وترضى بمحاسبتك قانونياً على الأخطاء التي قد تُبرهن في حقك؟.

كريولانس : أقبل..

مينينيوس : انظروا أيها المواطنون، يقول إنه يقبل، اعتبروا

الخدمات الحربية التي أداها تأملوا الكلوم التي يحملها جسده، والتي تبدو كالقبور في تربة مقدّسة.

كريولانس : خدوش بالشوك. ونُدَبٌ تثير الضحك ليس إلاّ.

مينينيوس : ولاحظوا أيضاً، عندما لا يتحدث كمواطن، فإنكم ترونه يتحدث كجندي، لا تعتبروا نبراته الخشنة أصواتاً حاقدة بل اعتبروها، كما قلت، أمراً خليقاً بجندي ولا يضمر لكم سوءاً.

كومينيوس : حسناً، حسناً، كفى.

كريولانس : ماذا في الأمر؟. ما كدت أُنتخب قنصلاً بإجماع الأصوات حتى طعنتم في انتخابي، وفي الساعة نفسها سحبتم أصواتكم؟.

سيسنيوس : أجبنا أنت.

كريولانس : تكلم إذن، صحيح، علي أنا أن أجيب.

سيسنيوس : نحن نتهمك بأنك قد تآمرت على روما بتجريدها من كل منصب وطيد، وعلى الانتهاء بنفسك إلى تسلّط المستبدّ، وبهذا تكون خائناً للشعب.

كريولانس : ماذا؟ خائن؟.

مينينيوس : بلطف، كما وعدت.

كريولانس : لتلتهم الشعب نيرانُ جهنم السفلى! أتدعوني

خائناً؟ أيها التريبون المشين! لو جلس في عينيك عشرون ألف موتٍ، وفي يديك لو قبضتَ من الموت عشرين مليوناً وفي لسانك الكاذب كلا العددين معاً، فإني أقول لك: «أنت كاذب» بصوت حرّ كذاك الذي اتضرع به إلى الآلهة.

سيسنيوس : أترون ذلك يا قوم؟.

مواطنون : هيّا به إلى الصخرة، إلى الصخرة!.

سيسنيوس : سكوت! أنا في غنى عن إضافة مادة جديدة إلى اتهاماته: فما شاهدتموه يصنع وما سمعتموه يتكلم به، ضارباً مسؤوليكم، شاتماً إياكم، مقاوماً السنن والقوانين بالضرب، وهنا متحدياً هؤلاء الذين لديهم عظيم السلطة العظيمة لمحاكمته: هذا كله عملٌ جرمي ومن أكبر أنواعه، ويستحق مرتكبه أقصى الموت.

بروتوس : ولكن بما أنه أدى لروما خدمات جليلة...

كريولانس : ما الذي تتحدث به عن الخدمات؟.

بروتوس : أنا أتكلم عما أعرفه.

كريولانس : أنت؟.

مينينيوس : أهذا ما وعدتَ به والدتك؟.

كومينيوس : اعلم، أرجوك...

كريولانس : لا، كفاني علماً! ليحكموا علي بالموت عن الصخرة «الطاربيه» الباسقة، بالنفي والتشريد، بالسلخ، بالسّجن والعيش على حبة واحدة في اليوم، فإني لن أشتري منهم رحمتهم بثمن كلمة واحدة طيبة. لن أكبح شجاعتي واندفاعي لقاء ما بوسعهم أن يمنحوه، حتى ولو بقولي لهم «صباح الخير».

سيسنيوس : حيث أنه من آن إلى آخر، وبقدر ما يستطيع، حقد على الشعب، باحثاً عن وسيلة ينتزع بها سلطتهم، كما أنه الآن أخيراً اعتدى بالضرب، لا في حضرة العدالة المحترمة فحسب، بل أيضاً على الذين يمثلونها فإننا باسم الشعب وبالسلطة المخوّلة لنا، نحن التريبونات، ننفيه من مدينتنا ابتداء من هذه اللحظة. وعليه ألاّ يدخل أبداً مرة أخرى أبواب مدينتنا روما، وإلاّ عوقب برميه عن فوق الصخرة «الطاربيه»: باسم الشعب، وجب التنفيذ!.

مواطنون : لقد وجب التنفيذ، لقد وجب التنفيذ! ليخرج! لِيُنْفَ! ولسوف ينفى!..

كومينيوس : استمعوا إلي، يا سادتي، يا أصحابي العوام - ...

سيسنيوس : لقد حُكم. لن نسمع بعد.

كومينيوس : دعوني أتكلم لقد كنت قنصلاً. وبإمكاني أن أري روما آثار أعدائها على جسدي. أنا أحب الخير لوطني حبّاً يزيد طراوة، وعمقاً وقدسية، على حبي لحياتي ولكرامة زوجتي الحبيبة، لثمرة رحمها، وجوهرة حَقَوَيّ فإن أقُل إذن. ...

سيسنيوس : نعلم مرادك. فإن تقل ماذا؟.

بروتوس : لم يبقَ ما يقال. إنه منفيّ، كعدو لشعبه ووطنه: لقد وجب التنفيذ.

مواطنون : وجب التنفيذ، وجب!.

كريولانس : يا عوام، يا كلاباً نابحة أكره أنفاسها كضباب المستنقعات الوسخة العفنة، وأثمن حبها كما أثمّن جِيَفَ الأموات التي لم تُدفن فأفسدت هوائي: أنا أنفيكم أنتم! ابقوا هنا في اضطرابكم وقلقلكم! وأعداؤكم، بمجرد هزّ الريش في هاماتهم، لسوف يلهبونكم قنوطاً ويأساً! لتكن لديكم السلطة على الدوام لنفي حماتكم، إلى أن يؤدي بكم في النهاية جهلُكم الذي لا يُرى إلاّ بوخز الحس، غير مكترث حتى بكم يا أعداء أنفسكم، إلى تسليمكم كأحقر الأسرى لأمّة ما تغلبكم دوماً

ضربة واحدة! من أجلكم احتقر المدينة، وأدير لها ظهري هكذا. هناك عالم في مكان آخر.

(يخرج كريولانس، كومينيوس، مينينيوس، الشيوخ، والأشراف).

الايديل : عدو الشعب قد ولّى وراح!.

مواطنون : عدونا قد نفي! وولّى! هاي! هاي!.

(يصيحون ويقذفون بقبعاتهم في الهواء)

سيسنيوس : اذهبوا وطاردوه حتى الأبواب، طاردوه كما طاردكم، بكل شماتة وضغينة، أزعجوه إزعاجاً يستحقه. واجعلوا لنا حَرَساً يرافقنا خلال المدينة.

مواطنون : هيا، هيا نطارده حتى الأبواب. صانت الآلهة تريبوناتنا الكرام! هلمّوا.

(يخرجون)

الفصل الرابع

المشهد الأول

(روما، قرب أحد أبواب المدينة)
(يدخل كريولانس، فلومنيا، فيرجليا، مينينيوس، كومينيوس، مع الشباب من أشراف روما)

كريولانس : كفكفوا الدموع. إنه لوداع مختصر، فالوحش ذو الرؤوس العديدة يرمي بي إلى البعيد. أماه، أين بسالتك القديمة؟ كنت تقولين إن الشدة امتحان النفوس، وإن العاديّ من الحظوظ بإمكان العاديين احتمالها، وإن البحر إذا سكن كانت السفن في حذق الإقلاع سواسية، وطعنات الدهر إذا اشتد وقعُها، لا بد لنا، حفاظاً للإباء ونحن نُجرح، من نبل العقل والحصانة، لقد أصريتِ على تحميلي مبادىء تجعل الفؤاد الذي يحفظها قوياً لا يغلب.

فيرجليا : يا للسماء، يا للسماء!.

كريولانس : لا يا امرأة، أرجوك.

فلومنيا : ألا لفّ الطاعون الأحمر كل أصحاب الحرف في روما! ألا أودى الموت بكل ذي مهنة!.

كريولانس : هوّني عليك! سيحبونني لما يفتقدونني. أماه،

استردي تلك الروح أيام اعتدت أن تقولي : لو أنني كنت زوجة هرقل لقمت بستة من واجباته الرهيبة، ووفّرت على زوجك كثيراً من العرق. كومينيوس، لا تحزن الوداع! وداعاً، زوجتي، والدتي . سأحسن الصنع بعد، وأنت يا مينينيوس، أيها الشيخ المخلص، دموعك أشد ملوحة من دموع فتى شاب، وزعافٌ لعينيك . . . يا قائدي سابقاً، لقد رأيتك شديداً صارماً، ولطالما شاهدت أنت مشاهد تفتّت الفؤاد. أخبر هؤلاء النسوة الحزينات أن البكاء على مصائب لا مردّ لها جنون كما الضحك منها هو جنون أيضاً. أماه، أنتِ تعلمين أن مخاطري كانت دوماً سلوى لك، فلئن اذهب وحدي، كتنّين مستوحد يخاف الناس مستنقعه ويتحدثون عنه أكثر مما يشاهدونه، فلا تصدّقي بسهولة أن ولدك سيفتت على العرف، أو يقع فريسةً لطُعم غادر أو حيلة ماكرة.

فلومنيا : يا فخر الأبناء، إلى أين تتجه؟ خذ الفاضل كومينيوس معك لبعض من الزمن. صمم على نهج ما، ولا تعرّض نفسك لكل صُدْفة رعناء تعترض الطريق أمامك.

كريولانس : يا للآلهة!.

كومينيوس : سأرافقك لشهر، لأهيىء وإياك مكاناً لراحتك، لكيما تسمع منا ونسمع منك: فإذا ما واتانا الزمن بسبب لاستدعائك، لن نرسل الوفود في الدنيا الرحبة كلها بحثاً عن رجل، فنخسر اللحظة المؤاتية، وهي التي تفقد حرارتها بغياب من هو بحاجة إليها.

كريولانس : وداعاً! محمّل أنت بالسنين، ومتخم بالحروب والمعارك، فلا تَرُحْ وتطوّف مع امرىء لم يعرف الخدوش بعدُ. واكبني إلى خارج باب المدينة، وكفى. هلموا: يا زوجتي الجميلة، يا والدتي الحبيبة، يا أصدقائي الكرام المجرّبين: إذا ما خرجت، ودّعوني وابتسموا. أرجوكم. هلمّوا. وما دمت فوق التراب فإنكم دائماً ستسمعون مني، ولن تسمعوا عني إلا ما كان من أمري في السابق.

مينينيوس : حقاً، إن هذا خير ما تسمعه أُذن. دعونا لا نذرف الدمع.. فلو قدرت أن أنفض سبعة أعوام عن ذراعيّ وساقي الهرمة هذه، فإنني وحق الآلهة الكريمة لسرت معك كل شبر.

كريولانس : ناولني يدك. هيّا. (يخرجون)

المشهد الثاني

(روما، شارع قرب باب المدينة)

(يدخل سيسنيوس، وبروتوس، وشرطي)

سيسنيوس : مُرْهم جميعاً بالعودة إلى منازلهم. لقد ذهب، فحَسْبُنا. وقد انزعج الأشراف، ورأيناهم ينحازون لجانبه.

بروتوس : الآن وقد بينّا عن قوتنا، لنظهر من التواضع، بعد أن انتهينا من الأمر، أكثر مما أظهرنا ونحن في صدده.

سيسنيوس : مرهم بالعودة إلى منازلهم. قل إن عدوّهم الكبير قد ذهب وولى، وإنهم عادوا إلى ما كانوا عليه من بأس وقوة.

بروتوس : اصرفهم إلى منازلهم. (يخرج الشرطي) هذه والدته قادمة.

سيسنيوس : لنبتعد عن لقائها.

بروتوس : لماذا؟.

سيسنيوس : يقولون إنها مجنونة.

بروتوس : لقد لاحظونا. استمر في طريقك.

(تدخل فلومنيا، وفيرجليا ومينينيوس).

فلومنيا : آه! ما أجمل لقياكم! ألا جازت الآلهة حبكم بمخزون طاعونها!.

مينينيوس : اهدئي! ولا ترفعي صوتك هكذا.

فلومنيا : لو لم يمنعني نحيبي عن ذلك، لسمعت - بل ولسوف تسمع بعضاً منه - (لبروتوس) أذاهب أنت؟.

فيرجليا : (لسيسنيوس) ابق أنت أيضاً. ليتني استطعت أن أقول ذلك لزوجي.

سيسنيوس : هل أنت من صنف الرجال؟

فلومنيا : أجل، يا أبله، وهل من عار في ذلك؟ اليكم هذا الغبي. ألم يكن والدي رجلاً؟ هل أنت من صنف الثعالب لتنفي ذاك الذي أنزل من الضربات من أجل روما بقدر ما تفوهت أنت من كلمات؟.

سيسنيوس : ساعديني أيتها السماء!.

فلومنيا : ومن الضربات النبيلة أكثر مما عرفت من كلمات حكيمة. ولصالح روما، سأقول لك - ولكن اذهب. بل ابق أنت أيضاً. أتمنى لو أن ولدي في البادية وعشيرتك أمامه، وحسامه الصارم بيده.

سيسنيوس : ثم ماذا بعد؟.

فيرجليا : ثم ماذا؟ ثم ماذا؟ لأنهي نسلك بأجمعه.

فلومنيا : بما فيها من أولاد حرام. يا للشهم والكلوم التي يحملها من أجل روما!.

مينينيوس : اهدئي، اهدئي.

سيسنيوس : ليته استمر لبلده كما كان يوم بدأ، لم ينقض بنفسه العقدة النبيلة التي عقد.

بروتوس : ليته!.

فلومنيا : «ليته!» أنت الذي ألهبت مشاعر الرعاع، هذه الهررة التي تعرف قدره الحق كما أعرف أنا الأسرار التي لا تريد السماء أن تعرفها الأرض.

بروتوس : رجاءً. لنذهب.

فلومنيا : والآن، رجاءً، يا سيدي، اذهب ما أجمل ما صنعتم. قبل أن تذهب اسمع هذا: بقدر ما يسمو الكابتول على أحقر بيت في روما، هكذا هو ولدي الذي نفيتموه - زوج هذه السيدة هنا، أترى - يسمو عليكم جميعاً.

بروتوس : حسناً، حسناً، سنغادركم.

سيسنيوس : ولماذا البقاء لتنقر بنا امرأة قد فقدت عقلها؟.

فلومنيا : خذوا معكما دعائي.

(يخرج التريبونان)

ليت الآلهة لا عمل لها سوى ترسيخ لعناتي! لو

ألقـاهما كـل يـوم مـرة، لأرحت قلبي من هـذا الذي يثقله! .

مينينيوس : لقد أغلظت لهما الكـلام. ويقيناً، لـك الحق. أتتناولان العشاء معي؟.

فلومنيا : الغضب طعـامي. أنـا أقتـات من ذاتي، فـإذا أكلت مت جوعاً. هيّا بنا. (لفرجيليا) دعي عنـك هذه الهمهمة الهامسة، وانتحبي مثلي، انتحاب الغضب، مثل جونو. كفى، كفى.

مينينيوس : لا يا هذه، يا هذه! .

(يخرجون)

المشهد الثالث

(طريق عام بين روما وانتيوم)

(يدخل روماني وفولسي، ويلتقيان)

روماني : أنا أعرفك جيداً، يا سيدي، وأنت تعرفني، اسمك، فيما أعتقد، أدريان.

فولسي : أجل يا سيدي، صحيح لقد نسيتك.

روماني : أنا روماني. وخدماتي، كما تعرف، ضدهم. أما عرفتني بعد؟.

فولسي : نيكانور؟ لا.

روماني : بل هو بعينه.

فولسي : كانت لحيتك أكثف لما شاهدتك مؤخراً. غير أن وجهك تؤكده لهجتك. ما الأنباء في روما؟ لديّ خطاب من الحكومة الفولسية للاتصال بك هناك. لقد أعفيتني من مسيرة يوم كامل.

روماني : كانت في روما انتفاضات غريبة، إذ ثار الشعب على الشيوخ والأشراف والنبلاء.

فولسي : كانت؟ هل انتهت إذن؟ حكومتنا لا تظن ذلك. فالاستعداد للحرب عندها على قدم وساق،

وهـي تـأمـل أن تـبـاغـتـهـم وهـم فـي أوج انقساماتهم.

روماني : الأشـد لهيباً قـد انقضى، ولكن أيـة صغيـرة ستوقدها مجدداً. لأن النبلاء ناقمـون على نفي ذلك الرجل الفاضل كريـولانس، حتى أصبحوا على استعـداد لتجريـد الشعب من كـل سلطة، وانتزاع تريبوناته منه إلى الأبد. لا ريب لدي أن هـذا شـأن متقـد، ويـوشـك على الانـدلاع العنيف.

فولسي : نفوا كريولانس!.

روماني : أجل، نفوه.

فولسي : ستلقى الترحيب بهذا الخبر يا نيكانور.

روماني : تناسبهم الظروف الآن، وسيلمع رجلكم النبيل تـولوس أفيـديـوس في هـذه الحـروب، مـا دام عـدوه العظيم كـريولانس غيـر مرغـوب فيه في بلده.

فولسي : لا بـد أنـه سيسـطع. مـا أسعـد حـظي بلقيـاك مصادفة هكذا لقد انهيت مهمتي، وسـأصحبك مبتهجاً إلى منزلنا.

روماني : سأحدثك بأعجب الأمـور وأغربهـا عن روما من الآن وحتى العشـاء. وكلهـا تميـل لصـالـح

خصومها، هل قلتَ إن لديكم جيشاً مستعداً؟.

فولسي : ورائعاً. فالنقباء والذين هم بأمرتهم، كل واحد منهم له مكانه، والجميع معبؤون، ويكفي إنذار ساعة واحدة لوضعهم على أهبة القتال.

روماني : يسرني أن أعلم باستعدادهم، وأغلب الظن، أنا هو الرجل الذي سيدفعهم، عما قريب، إلى الحركة، إذن، مرحباً بك يا سيد، وأهلاً بصحبتك.

فولسي : أنت تأخذ دوري مني يا سيدي، فأنا الذي لديّ الداعي للبهجة بصحبتك.

روماني : لنذهب سوياً.

(يخرجان)

المشهد الرابع

(يدخل كريولانس في زي حقير، متنكراً ومتلفّعاً)

كريولانس : انتيوم هذه مدينة جميلة. أيتها المدينة، أنا الذي رمّلت نسوتك والعديد من وارثي هذه المباني البديعة سمعتهم، في حروبي، يئنّون ويهوون. لا تعرفيني إذن، لئلا تقتلني نساؤك بالسفود وفتيانك بالحجارة في معركة صغيرة.

(يدخل مواطن)

مرحباً، سيدي.

مواطن : مرحباً.

كريولانس : دلّني، إذا أردت، إلى حيث يقطن أوفيديوس العظيم. هل هو في انتيوم؟.

مواطن : نعم. ويقيم وليمة لرجالات الدولة في بيته هذا المساء.

كريولانس : أين هو بيته، أرجوك؟.

مواطن : هذا هو، أمامك، هنا.

كريولانس : شكراً، سيدي. مع السلامة.

(يخرج مواطن)

ايه يا دنيا، ما أكثر تقلباتك الزلقة! صديقان

حميمـان يظهـر أن صدريهمـا يحمـلان جنانـاً واحـداً، دارهما دائمـاً معاً؛ وكـذا فـراشهمـا، قوتهما، رياضتهما، كـأنهما تـوأمان في ودادٍ لا ينفصم، وإذا هما في ساعـة من الزمن لخـلاف على درهم، ينـدلعان في عـداوة مريـرة: وكـذا عـدوان لـدودان أفســدت سبـاتهمــا الأضغـان والمؤامـرات ليقضي كلاهمـا على الآخر، وإذا همـا بمصادفـة ما، لتـافـه مـا لا يسـاوي بيضـة واحـدة، يصبحان صـديقين حميمين ويجمعان بين قضـاياهمـا. هكذا الشـأن معي: أنا أمقت مسقط رأسي، وخصصت بمحبتي مدينة العـدو هذه. سأدخل: فإن يصرعني فهو إنما يَعْدل ويُنصف. وإن يهبْني ما أريد خدمت له بلده.

المشهد الخامس

(قاعة في منزل اوفيديوس، في انتيوم)

(تسمع موسيقى من الداخل. يدخل خادم)

الخادم الأول: شراب، شراب، شراب! ما هذه الخدمة؟ أظن أن زملاءنا نائمون.

(يخرج)

(يدخل خادم ثان)

الخادم الثاني: أين كوتس؟ سيدي يطلبه. كوتس!.

(يخرج)

(يدخل كريولانس)

كريولانس : بيت جميل، ما ألـذّ رائحة المـأدبة! ولكنني لا أبدو كالضيوف.

(يدخل ثانية الخادم الأول)

الخادم الأول: ماذا تبغي يا صاح؟ من أين أنت؟ مكانـك ليس هنا أرجوك، اذهب إلى الباب.

(يخرج)

كريولانس : إن أكن كريولانس ألا أستحق معاملة أفضل من هذه.

(يدخل ثانية الخادم الثاني)

الخادم الثاني: من أين أنت يا سيد؟ هل للبواب عينان في رأسه فيأذن بالدخول لأناس كهذا؟ أرجوك، أخرج.

كريولانس : ابتعد!.

الخادم الثاني: ابتعد؟ أنت ابتعد؟.

كريولانس : إنك تزعجني.

الخادم الثاني: أتجرؤ عليّ؟ سأنادي من يكلمك في الحال.

(يدخل خادم ثالث، ويلتقي به الخادم الأول)

الخادم الثالث : من يكون هذا الرجل؟

الخادم الأول: من أغرب من شاهدت. ولا أقدر على إخراجه من البيت. من فضلك، نادِ له سيدي.

الخادم الثالث : ماذا تبغي من هنا يا رجل؟ أرجوك، غادر الدار.

كريولانس : دعني أقف، فقط، لن أوذي موقدكم.

الخادم الثالث : من أنت؟.

كريولانس : سيد من السادة.

الخادم الثالث : ولكن بائس عجيب البؤس.

كريولانس : بالضبط.

الخادم : لطفاً، أيها السيد البائس، اختر لك موقفاً آخر.
الثالث فليس هذا مكانك. تفضل، اخرج. هيا.
كريولانس : انصرف إلى عملك، هيًا، وعش على الفتات البارد.

(يدفعه عنه)

الخادم : الن تخرج إذن؟ أرجوك أنبىء سيدي عن ضيفه
الثالث الغريب هذا.
الخادم : سأنبئه.
الثالث
الخادم : أين تقطن أنت؟.
الثالث
كريولانس : تحت السرادق.
الخادم : تحت السرادق؟.
الثالث
كريولانس : أجل.
الخادم : وأين يكون؟.
الثالث
كريولانس : في مدينة الحدآت والغربان.
الخادم : في مدينة الحدآت والغربان! يا للحمير! اذن
الثالث أنت تقطن مع الزيغان. كذلك؟.
كريولانس : كلا، فأنا لا أقوم بخدمة سيدك.

الخادم الثالث : كيف، يا سيد؟ أتتدخل بشؤون سيدي؟.

كريولانس : أجل ما أكثر ثرثرتك. عليك بقصعتك واخدم بها!.

(يضربه ويدفعه عنه)

(يدخل أوفيديوس مع الخادم الثاني)

اوفيديوس : أين هذا الرجل؟.

الخادم الثالث : هنا، سيدي. أردت أن أضربه كالكلب، لولا مخافتي ازعاج السادة في الداخل.

(يخرج)

أوفيديوس : من أين أتيت؟ ماذا تريد؟ اسمك؟ لماذا لا تنطق؟ انطق يا رجل. ما اسمك؟.

كريولانس : (رافعاً اللفاع) إن كنت يا تولوس لم تتعرف إلي بعد، ولا تحسبني حين تشاهدني الرجل الذي هو أنا، فالحاجة تأمرني بذكر اسمي.

اوفيديوس : ما اسمك؟.

كريولانس : هو اسم ناشز في آذان الفولسيين، وتمجّ سماعه أذنك.

اوفيديوس : قل، ما اسمك! مظهرك جهم، وفي وجهك دلائل الأمر والنهي، لئن تكن أشرعتك ممزقة، فإن سفينتك تبدو نبيلة. ما اسمك؟.

كريولانس : هيّىء جبينك للتجهم: ألم تتعرف بعد إلي؟.

اوفيديوس : لا أعرف من تكون. اسمك؟.

كريولانس : اسمي كيوس مرسيوس، هذا الذي أصابك أنت بالذات، والفولسيين كلهم، بعظيم المضرة والأذى. والدليل على ذلك لقبي «كريولانس»: فالخدمات المتعبة، والمخاطر القصوى، وقطرات الدم النازفة من أجل وطني العاقّ، لم تكافأ إلّا بهذا اللقب ـ ذكرى طيبةً، وشاهداً على الضغينة والسخط اللذين لا بد أن تكنّ لي. وحده هذا الاسم قد دام والبقية التهمتها قسوة الشعب وحقده بإذنٍ من أشرافنا الجبناء الذين هجروني جميعاً، وأتاحوا لأصوات العبيد أن تطردني من روما. والآن هذه الضائقة حملتني إلى عقر دارك. لا أملاً في إنقاذ حياتي، فلا تخطئني. لأنني لو هبتُ الموت، من جميع رجال الدنيا لتجنبْتُك أنت. ولكن ضغينة خالصة لكي أثأر من هؤلاء الذين نفوني، أقف هنا أمامك. فإن تكن في قلبك نقمة فتريد الثأر والانتقام للإساءات التي أصابت شخصك، ولأمِ جراحات العار التي ترى في بلدك، أسرع على التوّ واجعل شقوتي تخدم غايتك. استخدمها بحيث تصبح خدماتي الناقمة منافع لك. لأنني سأحارب ضد بلدي

المنخـور بمرارة شيـاطين جهنم. ولكن إذ تبين أنـك لا تجـرؤ على هــذا وأنـك أتعب من أن تحـاول المـزيــد من الحـظوظ، إذن، بكلمــة واحـدة، فإني أنـا أيضاً مجهـد من المـزيـد من الحياة، وأقدّم عنقي لك ولحقدك العتيـد، فإذا لم تقـطعـه بـرهنت على حمـاقتـك، لأنني مـا طاردتك في يـوم ما إلا بكـراهية، وقـد سحبت دنـانـاً من الـدم من صـدر بلدك، ولا أستـطيـع الحياة إلا لعارك، أو لإسداء خدمة لك.

وفيديوس : مـرسيـوس مـرسيـوس! مـا تفوهــت بكلمـة إلا واقتلعت من قلبي جُــذْراً لحقـد تليــد. لـو أن جـوبيتر نـطق من تلك الغيمة بـأمور إلَهيـة وقال «هـذا حق!» لما كنتُ صـــدّقته أكثـر منك. يـا كامل النبل يا مرسيوس. فلألفّ ساعـديّ حول ذلك الجسد الذي حياله تكسّرت قنـاتي الصلبة مائة مرة وجرّحتْ وجه القمر بـالشظايـا. ها أنـا أعانق سندان حسـامي، وأسابق حبـك باللهفـة والنبل نفسيهما اللذين كنتُ بهما دوماً مع طامع القوة أحارب بسالتك. اعلم مقدماً أنني عشقت العذراء التي تزوجت، وما تنهد رجل نفساً أشد وفـاء مني. ولكن بمـرآك هنـا، أيهـا الجـوهـر

الكريم. فإن فؤادي الطروب ليرقص أكثر مما فعل حين شاهدت عروسي الحبيبة تخطو فوق عتبة منزلي. وحقّ مارس، أخبرك بأن لدينا جيشاً مستعداً، وكنت قد عزمت مرة أخرى على شق ترسك عن عضلك أو أفقد ذراعي أنا. لقد قهرتني اثنتي عشرة مرة مختلفة، ورحت كل ليلة أحلم بالمجابهات بيني وبينك. لطالما سقطنا معاً في حلمي نُسقط الخُوذَ، ويلكم كل منا هو حنجرة الآخر، ثم أفيق نصف ميت على لا شيء. أيها الكريم مرسيوس لو لم يكن بيننا نزاع مع روما سوى نفيك منها، لجيّشنا الجميع، من أبناء الاثنتي عشرة إلى السبعين، وصببنا الوغى في الجوف من روما العاقة، كموجٍ جريءٍ كاسح. تعال، تفضل، صافح الشيوخ أصدقاءنا، الذين أتوا يودّعونني للاستعداد للزحف على أقاليمكم ولو دون روما نفسها.

كريولانس : إنك تباركينني، أيتها الآلهة!.

اوفيديوس : ولذلك، يا سيدي الخالص، إن كنت تريد أن تتولّى ثاراتك بنفسك، فخذ نصف قيادتي، وقرّر فأنت سيد الخبرة، وأنت أدرى بمواطن

القـوة والضعف في بلدك ـ ما تتبـع من وسـائـل
هل تدقّ أبـواب روما أم تـأتيهم بصلافـة وقسوة
في أمـاكن بعيدة كيمـا ترهبهم قبـل تحطيمهم ـ
ولكن، ادخــل. دعني أولاً أوصي بــك هؤلاء
الـذين سيقولـون نعم لرغبـاتـك. مرحباً، ألف
مرحب! وصديقاً أكثر منك خصماً أبداً ولكن ما
أكثر ما كـان ذلك يـا مرسيـوس. هـات يـدك،
ومرحباً بك!.

(يخرج كريولانس وأوفيديوس)

(يتقدم الخادمان)

الخادم الأول: إن هذا التحول غريب!.

الخادم الثاني: وحق يـدي هـذه، لقـد خـطر لي أن أضـربـه بـالعصـا. غيـر أن عقلي قـال لي إن مـلابسـه تُكَذّب النبأ عنه.

الخادم الأول: ما أقوى ذراعه! لقد أدارني ببنانه وإبهامه، كمـا تدير المصراع.

الخادم الثاني: بل عرفت أنا من وجهه أن بـه شيئاً مـا ـ فإن لـه وجهاً، حسبت ـ لا أدري كيف أصفه.

الخادم الأول: بـالضبط. يشبـه كـأنـه، ليتني أشنق، ولكنني اعتقدت أن فيه أكثر مما أظن.

الخادم الثاني: أقسم لـك أنني أنـا أيضـاً اعتقـدت ذلـك: إنـه

ببساطة رجل لا مثيل له في العالم.

الخادم الأول: أظن ذلك. ولكن هناك جندي أعظم منه ـ وأنت تعرفه.

الخادم الثاني: من، سيدي؟!.

الخادم الأول: طبعاً، ولكن لا بأس.

الخادم الثاني: بل يساوي ستة مثله.

الخادم الأول: لا بذاك القدر. ولكنني اعتبره جندياً أعظم منه.

الخادم الثاني: في الواقع، كما ترى، لا يدري المرء كيف يقولها: ففي الذود عن المدينة، فإن قائدنا ممتاز.

الخادم الأول: وكذلك في الهجوم.

(يدخل الخادم الثالث)

الخادم الثالث: أيها العبيد، لدي أنباء لكم ـ أخبار، يا أوغاد!.

الخادم الأول والثاني: ما هي، ما هي؟ قل لنا.

الخادم الثالث: لا أتمنى أن أكون رومانياً. من كل أمم الأرض. فالروماني والمحكوم عليه بالإعدام هما سواء بسواء.

الخادم الأول والثاني: لماذا، لماذا؟.

الخادم الثالث : هنا أتانا ذلك الذي كان من أمره أن يضرب قائدنا على مؤخرته، كيوس مرسيوس.

الخادم الأول: لم تقول «يضرب قائدنا على مؤخرته»؟ لقد كان دائماً صنواً له وندّاً.

الخادم الثاني: اسمعا، فنحن رفاق وزملاء: لقد كان عسيراً جداً عليه. هذا ما سمعته يقوله هو.

الخادم الأول: كان عسيراً جداً عليه بشكل جلي، فلنقل الصدق. وأمام كريولي راح يشرحه ويحزّه كالكباب.

الخادم الثاني: ولو كان من أكلة لحوم البشر، لشواه وازدرده أيضاً.

الخادم الأول: ولكن، المزيد من أنبائك؟.

الخادم الثالث : إنهم يثرثرون عنه داخلاً وكأنه ابن الإلّه مارس ووريثه. لقد أجلسوه في صدر المائدة، وما من شيخ يوجه سؤالاً إليه، وقد وقفوا أمامه كالنصُب. وقائدنا نفسه يجعل منه سيده ومعشوقه، يتبرك بلمسة من يده، ويدير بياض عينه لحديثه، إلا أن لبَّ الخير هو أن قائدنا مشطور من الوسط، وما هو إلا على النصف مما كان بالأمس، لأن الآخر نال نصفه بالتماسٍ وقبول من أهل الوليمة بأجمعهم.

وهـو يقول إنـه سيذهب ويجـرّ بـواب رومـا من أذنيه: سيحصد الجميـع أمامـه حصداً، ويـدع طريقه سالكاً لمن يتبعه.

الخادم الثاني: وسيفعلها كأحسن من استطيع تخيّله.

الخادم الثالث: يفعلها؟ من المؤكد سيفعلهـا. لأنه، كمـا ليس خـافياً، لـديه من الأصـدقاء بقـدر ما لـديـه من الخصـوم، وهؤلاء الأصـدقـاء، يـا صـاح، لن يجرؤوا، كما لا يخفى، أن يُظهروا - رؤوسهـم، كما تقول، وهو مدنس بالعار.

الخادم الأول: العار! وما العار؟.

الخادم الثالث: ولكن يا صاحِ، عندما يجـدون هامتـه تسمو من جـديـد. والـرجـل مُـدمّى كله، سيبـرزون من جحورهم، كما الأرانب بعـد المطر، يبتهجـون معه.

الخادم الأول: ولكن متى سيجري ذلك؟.

الخادم الثالث: في الغد. اليوم. حالاً. ستسمع الطبل يُضـرب بعد الظهر، وكأنه جزء من وليمتهم، ولا بـد من تنفيذه قبل أن يَمْسحُوا شفاهَهَم.

الخادم الثاني: إذن سنرى ثانية عالمنا في حركة. فهذا السـلام ليس بشيء، سوى أنه يُصدىء الحديد، ويزيـد

من الخياطين، ويولّد ملحني الأغاني والأناشيد.

الخادم الأول: أعطني حرباً، هذا ما أقوله أنا. فهي تزيد على السلم بمقدار ما يزيد النهار على الليل. إنها سير خفيف سريع مسموع، مليء بالحيوية والنشاط. أمّا السلم فهو شلل، خمول وكسل ثقيلين، أصم، ناعس، فاقد الحسّ والشعور.

الخادم الثاني: نعم، ويجعل الناس يبغض بعضهم بعضاً.

الخادم الثالث : والسبب؟ لأنهم حينئذ تقل حاجتهم لبعضهم البعض. اعطني الحروب دوماً. وأرجو أن أرى الرومان يبخس قدرهم كالفولسيين. لقد قاموا، لقد وقفوا.

الثلاثة معاً : ادخلوا، ادخلوا!.

(يخرجون)

المشهد السادس

(مكان عام في روما)

(يدخل سيسنيوس وبروتوس)

سيسنيوس : نحن لا نسمع عنه شيئاً، وليس من خوف علينا منه. وما صنعه لا يذكر، في السلام الحالي وهدوء الناس الآن، وهم الذين كانوا من قبل في سرعة هوجاء. نحن هنا نجعل أصدقاءه يحمرون خجلاً من أن الدنيا بخير، فهم يفضلون ـ وإن عانوا من ذلك ـ أن يشاهدوا أعداداً من المتمردين تضجّ بهم الدروب والسبل، على مشاهدة تجّارنا يغنون في دكاكينهم، ويؤدون وظائفهم بوئام.

بروتوس : لقد واجهنا الأمر قبل فوات الأوان، هل هذا مينينيوس؟.

سيسنيوس : إنه هو. لقد أصبح، مؤخراً في غاية الرقة.

(يدخل مينينيوس)

مرحباً، سيدي!.

مينينيوس : مرحباً بكم جميعاً!.

سيسنيوس : صديقك كريولانس، يا سيدي، لا يفتقده كثيراً

إلا أصدقاؤه. الجمهورية قائمة، وستظل قائمة حتى لو ازداد غضباً عليها.

مينينيوس : كل شيء بخير، ولكان الوضع أفضل بكثير لو أنه تمكن من أن يمالىء ويسوّف.

سيسنيوس : أين هو، هل سمعت عنه؟.

مينينيوس : كلا، لم أسمع شيئاً. والدته وزوجته لم تسمعا شيئاً منه.

(يدخل ثلاثة مواطنين أو أربعة)

مواطنون : صانتكما الآلهة كليكما!.

سيسنيوس : أهلاً بكم، جيراننا.

بروتوس : أهلاً بكم كلكم، أهلاً بكم جميعكم.

مواطن أول : نحن ونساؤنا وأولادنا، نسجد متضرعين لأجلكما.

سيسنيوس : حُييتم، موفقين!.

بروتوس : مع السلامة، أيها الجيران الأكارم. نتمنى لو أن كريولانس أحبّكم كما أحببناكم نحن.

مواطنون : صانتكما الآلهة!.

بروتوس : مع السلامة سيسنيوس، مع السلامة.

(يخرج المواطنون)

سيسنيوس : هذه أيام أسعد وأجمل من تلك التي كان فيها هؤلاء القوم يجرون في الطرقات صارخين بالفوضى.

بروتوس : كان كيوس مرسيوس ضابطاً مقتدراً في الحرب، غير أنه كان جلفاً صلفاً، تركبه الكبرياء، طموحه لا يدركه الفكر، ويعشق نفسه.

سيسنيوس : شديد العزم على عرش بمفرده ومن غير مساعدين.

مينينيوس : لا أظن ذلك.

سيسنيوس : لو أنه بقي قنصلاً حتى الآن، لرأينا ذلك، ولرحنا جميعنا نقرع سن الندم.

بروتوس : لقد منعت ذلك الآلهة، وها هي ذي روما تجلس بدونه آمنة مطمئنة.

(يدخل ايديل)

ايديل : أيها التريبونان الفاضلان، هناك عبد، زجيناه في السجن، ينبئنا بأن الفولسيين قد دخلوا الأقاليم الرومانية بجيشين مختلفين، وراحوا، بأعمق أحقاد القتال، يدمرون ويهدمون كل ما يجدون بطريقهم.

مينينيوس : إنه أوفيديوس فهو تو سماعه بنفي مرسيوس يذر بقرنيه في العالم من جديد، وقد كانا مقوقعين عندما كان مرسيوس يدافع عن روما ولم يجرؤ، ولو مرة، على الظهور.

سيسنيوس : ما هذا الكلام عن مرسيوس؟.

بروتوس : اذهب ومر بجلد مروج الشائعات هـذا. من غير المعقول أن يجرؤ الفولسيون على الخروج.

مينينيوس : لا بل يعقل! فلدينا سجلّ يقول بأنـه يُعقل جـداً هاك أمثلة ثلاثـة على ذلك منـذ أن ولدت أنـا. ولكن اسألوا الرجل قبـل أن تعاقبـوه: من أين، سمـع هذا، لئـلا تجلدوا بدون قصـد، مصـدر إخبـاركم، وتنهنهـوا الـرسـول الـذي يـوصيكم بالاحتراز مما يجب الخوف منه.

سيسنيوس : لا تقل لي أعرف أن هذا غير معقول.

بروتوس : مستحيل.

(يدخل رسول)

الرسول : إن الأشـــراف جميعهم في سبيلهم إلى مجـلس الشيوخ، وعليهم مظاهر جد عـظيم. قد أتـاهم نبأ ما قلب وجوههم.

سيسنيوس : إنـه هـذا العبـد. اذهب واجلده على مـرأى من الناس. إنه مختلق. لا شيء غير نبأه.

الرسول : بل إن نبأه يَا سيدي الفـاضل، مؤيّـد، والتقريـر التالي أشد هولاً بكثير.

سيسنيوس : ما هو الأشد هولاً؟.

الرسول : أفواه عديـدة تلغط به بـلا تحفظ ـ ولا أعلم أهو

ممكن أم لا ـ وهـو أن مـرسيـوس انضم إلى أوفيديوس، وهو يقود جيشاً ضد روما وينذر بثأر كاسح عريض يشمل الصغار والكبار جميعاً.

سيسنيوس : رائع! محتمل جداً!.

بروتوس : مجرد اختلاق، لكي يتمنى ضعاف النفوس لو أن «مرسيوس الشهم» يعود إلى البلد.

سيسنيوس : خديعة، ليس إلاَّ.

مينينيوس : هـذا غير ممكن؛ فهـو وأوفيـديـوس لا يقـدران على الاتفاق إلا بقدر ما تتفق أعنف الأضداد.

(يدخل رسول ثان)

الرسول الثاني : إنهم يـطلبـونكم في مجلس الشيـوخ، هنـاك جيش رهيب، يقوده كيوس مرسيوس بـالتحالف مع أوفيديوس، يزمجـر على أقاليمنـا. وقد شق سبيله، عاصفاً بالنار، مستبيحاً كل ما هو أمامه.

(يدخل كومينيوس)

كومينيوس : ما أجمل ما صنعتم؟.

مينينيوس : ما الخبر؟ ما الخبر؟.

كومينيوس : لقـد تعاونتم على إذابـة رصاص المـدينـة فـوق رؤوسكم، وعلى رؤيـة نسـائكم تُغتصب تحت أنوفكم.

مينينيوس : ما هو الخبر؟ ما هو الخبر؟.

كومينيوس : هيا كلكم تُحرق بطينها، وحقوقكم التي تمسكتم جيداً بها تُحصر في ثقب مخرز.

مينينيوس : أرجوك، ما هي أخبارك؟ أخاف إنكما أبدعتما ـ أرجوك، أخبارك؟ إذا اتحد مرسيوس مع الفولسيين.

كومينيوس : إذاً! إنه إلههم: يقودهم كأنه شيء خلقه إله فوق الطبيعة، إله أكثر براعة منها في صنع الإنسان. وهم يتبعونه في هجومهم علينا نحن العجايا، بثقة كثقة صِبْية يطاردون فراشات الصيف، أو جزارين يقتلون الذباب.

مينينيوس : لقد أبدعتما. أنتما وأصحابكما لابسو المرابيل، إذ رحتما تتشبثان بأصوات ذوي الحرف وأنفاس آكلي الثوم!.

كومينيوس : ولسوف يرجّ مدينتكما روما حول آذانكما.

مينينيوس : كما كان هرقل يهز الثمار اليانعة. لقد أبدعتما!.

بروتوس : ولكن هل صحيح هذا يا سيدي؟.

كومينيوس : نعم، ولسوف يشحب وجهك قبل أن تجده غير ذلك. المقاطعات جميعها تثور مبتسمة، ومن يقاوم يسخرون من جهله الجريء ويموت ميتة

الأبله المخلص. ومن يلومه؟ أعداؤكم وأعداؤه يجدون فيه شيئاً ما.

مينينيوس : لقد قُضي علينا، إلاَّ إذا أبدى لنا هذا النبيل الرأفة والرحمة.

كومينيوس : ومن سيطلبها؟ التريبونات لا يقدرون على ذلك، خجلاً وحياء. والشعب يستحق الرحمة منه بقدر ما يستحق ذلك الذئب من الرعاة. أما أوفى أصدقائه، إن قالوا «تلطّف بروما» فإنهم قد اتهموه كما صنع أولئك الذين استحقوا كراهيته، وبدوا بذلك كالأعداء.

مينينيوس : صحيح. لو أنه وضع بمنزلي جمرة النار التي ستلتهمه، لما كانت لدي الوقاحة لأقول له: «كف، أرجوك!» ما أجمل ما فعلتما أنتما ومهرّجوكما! ما أروع ما هرّجتم!.

كومينيوس : لقد أنزلتما زلزالاً بروما لم تكن أبداً كما هي اليوم في منأى عن كل عون ومساعدة.

التريبونان : لا تقل نحن انزلناها.

مينينيوس : من أذن؟ نحن؟ نحن أحببناه، غير أننا وحوشاً ونبلاء رعاديد جبناء، خضعنا لعجاجكما الذين أخرجوه بعجيجهم من المدينة.

كومينيوس : ولكن أخاف أنهم سيدخلونه ثانية، بجئيرهم.

إن تولوس أوفيديوس ثاني أسماء الرجال شهرة،
وهو ينصاع لأوامره كأنه ضابط بإمرته. أن
تستثيس روما هو كل ما بمقدورها أن تبديه
إزاءهما من سياسة، وقوة، ودفاع.

(يدخل رهط من المواطنين)

مينينيوس : حضر العجاج! وهل بينهم أوفيديوس؟ إنكم أنتم الذين أفسدتم الهواء حين رحتم تقذفون بقبعاتكم العرِقَة النتنة، وتزعقون لطرد كريولانس ونفيه. إنه آت الآن، وما من شعرة في رأس جندي إلاّ وتتحول إلى سوط. بقدر ما رفعتم من قبعات ستهوى هامات خاوية ويجزيكم على أصواتكم. لا بأس لَوْ تمكن من حَرْقَنَا جميعاً وجَعلنا فحمة واحدة، لما فعل إلا ما نستحق.

مواطنون : الحق، لقد سمعنا أنباءً مروعة.

مواطن أول : أما أنا، فعندما قلت «انفوه»، قلت «مع الأسف».

مواطن ثان : وأنا أيضاً.

مواطن ثالث: وأنا أيضاً. وإذا أردت الصدق، هذا ما قاله الكثيرون منا. وما صنعناه، فعلناه بأخلص

النيات. ولئن قبلنا بنفيه طائعين، فإن نفيه كان ضد مشيئتنا.

كومينيوس : ما أبدعكم، أنتم وأصواتكم!.

مينينيوس : ما أروع ما فعلتم أنتم وقطيعكم. هل نذهب إلى الكابتول؟

كومينيوس : أجل، وهل لنا غير ذلك؟.

(يخرج كومينيوس ومينينيوس)

سيسنيوس : هلمّوا يا سادة إلى منازلكم. لا تخافوا ما هؤلاء إلا فئة سيسرها أن ترى الذي تخافه يتحقق. إلى منازلكم، ولا تبدوا دلائل الفزع.

مواطن أول : لترأف بنا الآلهة! تعالوا يا سادة، لنذهب إلى منازلنا. كنت دائماً أقول: أخطأنا عندما نفيناه.

مواطن ثان : قلنا ذلك جميعنا. ولكن. هيا، إلى المنزل.

(يخرج المواطنون)

بروتوس : لا يرون لي هذا النبأ.

سيسنيوس : ولا لي.

بروتوس : لنذهب إلى الكابتول. ليتني أعطي نصف مالي لأجعل من هذا النبأ أكذوبة!.

سيسنيوس : لنذهب أرجوك.

(يخرجان)

المشهد السابع

(معسكر على مسافة قصيرة من روما)

(يدخل اوفيديوس وملازمه)

اوفيديوس : أما زالوا يهرعون إلى الروماني؟ .

ملازم : لا أعلم ما السحر الذي فيه، غير أن جنودك يجعلونه أدعيتهم قبل تناول الطعام، كلامهم على المائدة، وشكرهم في النهاية. لقد حاق بك الكسوف، يا سيدي، بهذا العمل حتى عند أصحابك؟ .

اوفيديوس : لا حيلة لي الآن بذلك، إلا، إن أنا أعملت الدسيسة، أن أعرج خطتنا. حتى تجاه شخصي أنا فإنه يتصرف بكبرياء أشمخ مما ظننته سيفعل عندما عانقته للمرة الأولى غير أن طبيعته في ذلك لا تتقلّب. وعليّ أن أعذره فيما يتعذر صلاحه.

ملازم : ومع ذلك، فليتك يا سيدي، فيما يختص بك، لم تشاطره القيادة، فكنت إما ترأس العملية لوحدك، أو تدعها له وحده.

اوفيديوس : أفهمك جيداً. عندما يقدّم لنا حسابه، كن على

ثقة أنه لن يعرف ما الذي باستطاعتي اتهامه به.
فالذي يظهر، والذي يعتقده ـ وهو أمر تراه أيضاً عيون العامة ـ هو أنه يحسن التصرف في كل شيء ويبدي إرادة حسنة للحكومة الفولسية، ويقاتل كالتنين، ولا يستل السيف إلاَّ وينجز. غير أنه قد أهمل أمراً سيدق عنقه أو يخاطر بعنقي عندما تحين ساعة حسابنا.

ملازم : سيدي، أرجوك، أتعتقد أنه سيغلب روما؟.

اوفيديوس : الأماكن جميعها تستسلم له قبل أن يبدأ حصارها. ووجوه القوم في روما ملك يديه، والشيوخ والأشراف يحبونه كذلك. التريبونات ليسوا جنوداً، أما شعبهم فسوف يعجل بالإلغاء، بقدر ما استعجل بنفيه من المدينة. يخيّل إلي أنه سيكون لروما كنسر البحر للأسماك، يلتقفها بجبروت الطبيعة، كان، أول الأمر، خادماً نبيلاً لهم، غير أنه لم يتمكن من المحافظة على اتزان مركزه. فسواء أكانت الكبرياء، وهي اللوثة التي تفسد يومياً حظ الرجل السعيد، أم خطل في الادراك، يسبّب عدم قدرته على التمكّن من تلك الظروف التي كان هو سيدها، أم طبيعته في أن لا يكون إلا

شيئاً واحداً، فلا يتبدل في انتقاله من الخوذة إلى العرش، فيقود السلام بتلك الوسيلة الصارمة التي بها تحكّم بالحرب، ولكن إحدى هذه - فإن فيه بعضاً من كل منها، وليس جميعها، وإني لأبرّئه بهذا المقدار - جعلته يُهاب: وبالتالي يُكره، وبالتالي يُنفى ويُطرد: غير أن له حسنة تقضي على رذيلته وهي بعد قيد الكلام. وهكذا، فإن فضائلنا إنما تكمن في تفسير زماننا لها، ومهما تكن القوة حميدة لنفسها، فلا قبر لها أوضح من كرسيّ يتغنى بمدحها الثناء عليها. النار تُطرد بالنار، والمسمار بالمسمار. الحقوق تسقطها الحقوق، والقوى بالقوى تُغلب، هيا لنذهب أيه كيوس، حيت تقع روما بين يديك، تصبح أنت أفقر الجميع، وإذا بك واقع بين يديّ!.

(يخرجان)

الفصل الخامس

المشهد الأول

(ساحة عامة في روما)[1]

(يدخل مينينيوس، وكومينيوس، وسيسنيوس، وبروتوس، وآخرون)

مينينيوس : لا، لن أذهب، لقد سمعتم ما قاله عن هذا الذي كان قائده يوماً، وكان يحبّه حباً شخصيّاً حميماً. لقد دعاني بأبيه ـ ثم ماذا؟ اذهبوا إليه أنتم الذين نفيتموه وطردتموه. وعلى بعد ميل من خيمته، خرّوا على الركب زحفاً إلى رحمته. لا! ان كان يأنف أن يستمع إلى كومينيوس، فخير لي أن أبقي ببيتي.

كومينيوس : بدا كأنه لا يعرفني.

مينينيوس : أتسمعون؟.

كومينيوس : ولكنه دعاني باسمي مرة: فحلّفته بقديم صحبتنا، وبقطرات الدم التي نزفناها معاً. لقد رفض الاستجابة لاسم كريولانس، ومنع الأسماء كلها. لكأنه لا شيء، وبدون لقب، إلى أن يصوغ لنفسه اسماً من النيران التي ستحرق روما.

مينينيوس : أي نعم، لقد أحسنتما صنعاً! تريبونان اثنان، كدحا من أجل روما ليُرخصا ثمن الفحم - ذكرى بديعة!.

كومينيوس : لقد لفت نظره إلى أن من شيم الملوك أن يصفحوا ويعفوا حين لا يتوقع العفو والصفح منهم أحد. فأجاب بأنّ ذلك مجرّد التماس تتقدم به دولة لرجل أنزلت به القصاص والجزاء.

مينينيوس : طبعاً، وهل له أن يقول أقلّ من ذلك؟.

كومينيوس : حاولت أن أوقظ أحاسيسه تجاه أصدقائه الحميمين، فكان رده أنه لا يستطيع التريث لالتقاطهم من كومة من غبار التبن العفن النتن، وقال إنَّ من الحمق والبله ألاّ تُحرَقَ النفايا من أجل حبة هزيلة أو حبتين، ويبقى النتن في الأنف.

مينينيوس : من أجل حبّة هزيلة أو حبتين! أنا إحداهما. والدته، زوجته، طفله، هذا الرجل الكريم أيضاً - نحن حبّات البرّ، وأنتم غبار التبن العفن. ورائحتكم قد وصلت القمر: فعلينا أن نُحْرق من أجلكم.

سيسنيوس : صبراً، أرجوك، صبراً. إن كنت تأبى المعونة

في ساعة المحنة هذه، لا تؤنبنا بما نحن فيه من مصيبـة، ولكن تـأكـد، إن أنت ارتضيت أن تلتمس من أجل وطنك، فـإن لسانـك الحلو قد يـوقف ابن وطننا هـذا أكثر ممـا يتمكن الجيش الذي نجنّده على عجل.

مينينيوس : لا، لن أتدخل.

سيسنيوس : أرجوك، اذهب إليه.

مينينيوس : وماذا أصنع؟.

بروتوس : حاول فقط ما يمكن أن يصنعه حبك، من أجـل روما، لدى مرسيوس.

مينينيوس : حسنـاً، ثم أقول إن مـرسيـوس ردّني، كمـا ردّ كـومينيوس، دون أن يسمـع كلامي. ثم مـاذا؟ ولكن كصـديق غاضب، هـدّه الحزن لجفـوته؟ هب أن ذاك ما حدث؟.

سيسنيوس : إلاّ أن طيب نيتك سيَلْقَى الشكر من رومـا، بعد أن فعلت ذلك بأحسن قصد.

مينينيوس : سأقوم بالمهمّة أظن أنه سيسمع مني. ولكن مـا يثبط اندفاعي أنه عضّ شفته ودمدم لكومينيوس الكـريم. لم تكن ساعـة اللقاء بـه مناسبـة: لم يكن قد أكل. فإذا لم تمتلىء العروق والأوردة، كـان دمنـا بـارداً، وحينئـذٍ نـزم بـالشفـاه تجـاه

الصبـاح، ولا تنزع إلى العـطاء أو المغفـرة. ولكن عنـدما نحشـو أنـابيب دمنـا وأقنيتـه هـذه بالخمور والمآكل، تكون أرواحنا أكثر مرونة منّا في صيامنا الكهنوتي. ولذا فـإني سأنتـظره إلى أن يكـون قد تنـاول مـا أريـده لـه من طعـام ثم أناقشه.

بروتوس : أنت أدرى بالسبيل إلى كرمه وجوده، ولن تضلّ سبيلك.

مينينيوس : سأجرّبه، وايم الحق، كيفما جـرى الأمر. ولن يطول بي الوقت لأعلم إن كنت قد وُفقت.

(يخرج)

كومينيوس : لن يستمع إليه أبداً.

سيسنيوس : أبداً.

كومينيوس : أقول لك، إنه جالس في الذهب، وعينه حمراء كـأنهـا تـطلب إحـراق رومـا، وقـد أصبـح أذاه سَجّـان شفقته ورحمتـه. لقد ركعت أمـامه ولم يقـل «انهض» إلا بـأخفت الصـوت، وصـرفني هكذا، بيده الصامتة: ثم أرسل إليّ، تحريـراً، فيما بعد، أن مـا سيفعله ولا يفعله، رهن بيمينه بأن تُقبل شروطه: ولـذا فلا جـدوى من الأمل،

إلأ(من) والدته النبيلة وزوجتـه، اللتين سمعتُ
أنهمـا تنـويـان أن تضـرعـا إليـه ليـرأف ببلده.
فلننصـرف إذن، وبأجمـل التمني ندفعهمـا إلى
الإسراع.

(يخرجان)

المشهد الثاني

(مدخل معسكر الفولسيين أمام روما، يحرسه حارسان)

(يدخل عليهما مينينيوس)

الحارس الأول : قف، من أين أنت؟.

الحارس الثاني : قف، وارجع.

مينينيوس : إنكما تحرسان كالرجال. حسناً تفعلان. ولكن ائذنا لي، فأنا من مسؤولي الدولة، أتيت لأكلم كريولانس.

الحارس الأول : من أين؟

مينينيوس : من روما.

الحارس الأول : ممنوع المرور، وعليك أن تعود، فقائدنا لن يسمع المزيد من هناك.

الحارس الثاني : سترى مدينتك روما تعانقها النار قبل أن تكلم كريولانس.

مينينيوس : أيها الصديقان الكريمان، إن كنتما سمعتما قائدكما يتحدث عن روما وعن من فيها من

أصـــدقـائـــه، فـإني أراهن أن اسمي قـــد مسّ آذانكما: إنه مينينيوس.

الحارس الأول : وليكن ذلـك. ارجع، فكـرامة اسمـك لا تفتـح درباً هنا.

مينينيوس : أقـول لك، يـا غلام، إن قـائـدك حبيبي: لقـد كنت دوماً كتاب مآثره الحميدة، يقرأ النـاس فيه عن شهرته التي لا تضاهى، ومضخمة أحيـاناً، لأنني أسانـد أصـــدقـائي على الـــدوام. وهـو كبيـرهم، لأقصى حـدود الصـدق، حتى يكـاد الصـدق يضطرب فيهم. بـل إنني أحيانـاً أشبـهُ بكرةٍ تُقذف على أرض مـائلة فأتعـدّى الهدف، وفي ثنائي وتقريظي إياه أكاد أُصدق ما زعمت، ولذا، يا غلام، يجب أن تسمح لي بالمرور.

الحارس الأول : ثق سيدي، إنك لو قلت من الأكاذيب عنه بعدد مـا تفوهت من كلمـات عن نفسك، فـإنـك لن تعبر من هنا. لا، حتى ولو كان الفجـور بفضيلة العفّة. ولذلك، ارجع!.

مينينيوس : أرجوك يا غـلام أن تتذكـر أن اسمي مينينيوس، ومن المحازبين لقائدك دائماً.

الحارس الثاني : مهما تكن من الكاذبين عليه، كما تقول، فإنني مـأمور بـالصـدق لـه، وعلي أن أقـول لـك: لا

تستطيع المرور. ولذلك ارجع!.

مينينيوس : هل تعلم إن كان قد تناول عشاءه؟ لأنني لن أكلمه إلا بعد العشاء.

الحارس الأول : أنت روماني، ألست كذلك؟.

مينينيوس : نعم، كما هو قائدك.

الحارس الأول : إذن عليك أن تبغض روما، مثله. إن كنتم قد دفعتم بحامي أبوابكم إلى خارجها، وفي جهل شعبي عنيف سلمتم ترسكم لعدوكم، هل تظنون أن بوسعكم مجابهة انتقاماته وثاراته بالأنات البسيطة من عجائزكم، والأكفّ العذراء من فتياتكم، أو بشفاعة كهلاء من خَرِفٍ مهترىء مثلك؟ أتعتقد أن بوسعك أن تخمد النار المنوية لمدينتكم المهيأة للاحتراق بها بلهاث واهن كهذا؟ لا، إنك مخدوع. ولذا، ارجع إلى روما، واستعدوا لإعدامكم: لقد حُكم عليكم، وقائدنا قد أقسم أنه لن يغيّر حكمه عليكم ولن يصفح عنكم.

مينينيوس : يا رجل، لو علم رئيسك بوجودي هنا، لعاملني بالتقدير والحسنى.

الحارس الثاني : هيا، فإن رئيسي لا يعرفك.

مينينيوس : أعني قائدك.

الحارس الأول : قائدي لا يهمه أمرك. ارجع، أقول لك، انصرف. وإلا أهرقت كوب دمك. ارجع - هذا أقصى ما ستحظى به: ارجع.

(يدخل كريولانس واوفيديوس)

كريولانس : ما الأمر؟.

مينينيوس : والآن، أيها الرفيق، فسأتوسط أنا لك، ولسوف تعرف أنني محل تقدير، وتدرك أن مجرد غلام حارس لن يحجبني بوظيفته عن ولدي كريولانس، وتأمل، بلقياه لي، كيف أنك ستكون أهلاً للشنق، أو لميتة أطول مشاهدةً، وأقسى معاناة. انظر الآن، حالاً، وسيغمى عليك بما سوف يصيبك، (لكريولانس).

ألا اجتمعت الآلهة كل ساعة لتوفيقك، وأحبّتك حباً لا يقل عن حب أبيك الشيخ مينينيوس لك! آه يا ولدي، يا ولدي! إنك تعدّ النار لنا. انظر، هنا ماء لإطفائها. ما دفعت للحضور إليك إلاّ بصعوبة. ولكن إذْ تيقنت أن لا أحد يستطيع التأثير فيك سواي، فقد حملتني التنهدات إلى

خارج أبوابك، وأني لاستحلفك أن تصفح عن روما، وعن مواطنيك الضارعين إليك. أطفأت الآلهة الكريمة نيران غضبك، وصبت الحثالة على هذا النذل الحقير هنا ـ هذا الذي كالخشبة الصماء رفض أن يصل بي إليك.

كريولانس : انصرف!.

مينينيوس : نعم؟ انصرف؟.

كريولانس : أنا لا أعرف زوجة، ولا والدة، ولا ولداً. وشؤوني هي في خدمة الآخرين، ولئن يكن حقي في ثاري ملك يدي، فإن التنفيذ مرهون بصدور الفولسيين. أما كوننا متعارفين فيسممه عقوقُ الناسين، أكثر مما يهم الرأفة أن تعرف مداه. ولذا فانصرف إن أُذنيّ إزاء تضرّعاتك وتوسلاتك أصلب من أبوابكم إزاء قوتي. ولكن، لأنني كنت أحبك، خذ معك هذه (يسلمه رسالة) لقد كتبتها إليك وكنت سأرسلها. أما كلمة منك أخرى، مينينيوس فلن أسمع. هذا الرجل، يا أوفيديوس، كان حبيبي في روما. أفترى؟.

اوفيديوس : إنك ثابت في عزمك.

(يخرج كريولانس واوفيديوس)

الحارس الأول : والآن يا سيدي، هل إن اسمك مينينيوس؟.

الحارس الثاني : أترى؟ إنه رقية شديدة المفعول! اتعرف الدرب ثانية إلى منزلك؟ أسمعت التأنيب الذي لقيناه لأننا منعنا عظمتكم من الدخول؟.

الحارس الأول : هل من سبب، في رأيك، لإغمائي الآن؟.

مينينيوس : لا شيء يهمني من أمر الدنيا، ولا من أمر قائدكم. أما المخلوقات التي مثلكما، فإني أكاد لا أعترف بوجودها. لتفاهتها وحقارتها. من له العزم على الموت بنفسه، لن يخشاه من آخر. فليفعل قائدكم أسوء ما باستطاعته. أما أنتما، فليطل بكما العيش، وليشتد بكما الشقاء مع طول العمر! وأقول لكما، ما قيل لي: انصرفا!.

(يخرج)

الحارس الأول : من كرام الناس، ولا ريب.

الحارس الثاني : إنما الرجل الفاضل قائدنا. هو الصخرة، هو السنديانة التي لا تهزّها الرياح.

(يخرجان)

المشهد الثالث

(خيمة كريولانس)

(يدخل كريولانس واوفيديوس وآخرون)

كريولانس : غداً أمام أسوار روما سنحشد جيشنا. فيا شريكي في هذا العمل يجب أن تخبر السادة الفولسيين بمدى صراحتي في القيام بهذه المهمة.

اوفيديوس : أنا ما التزمت إلاّ بأهدافهم. سددت أذنيك عن التماس جميع من في روما، ولم تقبل بهمسة خاصة، لا، حتى من أصدقاء لك كانوا يظنون أنهم واثقون منك.

كريولانس : هذا الشيخ الأخير الذي أرسلته إلى روما بقلب مصدوع، كان يحبني حبّاً ينيف عن حب الوالد لولده، بل إنه كان، في الواقع، يؤلهني. وكان آخر ملجأ لهم أن يوفدوه إليّ، ومن أجل حبه القديم، وإن بدوت عابساً له، تقدمت ثانية بالشروط الأولى، التي رفضوها أصلاً، ولن يسعهم الآن القبول بها ولكي أكرّمه فقط، هذا الذي ظن أنه يقدر على المزيد، سلّمته شيئاً

زهيـداً جـداً. وأيـة سفـارات أو التمـاسـات وشفاعات جديدة من الدولة كانت أم من خُلْص الأصـدقاء فـإنني لن أعيرهـا أذناً صـاغيـة بعـد اليوم.

(صراخ في الداخل؟)

ها! ما هذا الصياح والصراخ؟ هل سأغرى على الإخـلال بعهدي في الـوقت الذي قـطعتـه فيـه على نفسي؟ أبداً!.

(في ثيـاب الحداد تـدخل، فيـرجليـا، وفلومنيـا، وهي تقتاد مرسيوس الصغير، وفليريا، ومرافقات)

زوجتي تتقـدم الجميـع، ثم صـاحبـة القـالب المصون الذي صيغ فيه جسـدي هذا، وبيـدها حفيد دمها. ولكن، ـ إليك عني أيتها العـاطفة! وليتهشم كل قيد وحق تفـرضه الـطبيعة! وليكن العناد فضيلة. ما قيمة تلك الانحناءة؟ أو عيـون الحمـائم تلك، التي بوسعهـا أن تجعل الآلهـة تحنث في قسمهـا؟ إنني أذوب ومـا أنـا بتـراب أصلب من الآخـرين. تنحني أمي كأنمـا جبـل الأولمب ينحني مبتهـلاً ضـارعـاً لكـومـة تـراب صغيرة، وولدي الحدث يتشفع بمحيّا تصرخ له الـطبيعـة العـظيمـة «لا تـردّه!» دع الفـولسيين

يحرثون روما، ويعذبون إيطاليا. لن أكون قط فرخ أوزة ينصاع للغريزة، بل سأقف كأن الإنسان هو صانع ذاته، ولم يعرف أبداً قربى دم بأحد.

فيرجليا : سيدي وزوجي!.

كريولانس : ما هاتان بالعينين اللتين كانتا لي في روما.

فيرجليا : إن الأسى الذي يأتي بنا وقد تبدّلنا هو ما يجعلك تعتقد ذلك.

كريولانس : أنا شبه بممثل بليد نسيت الآن دوري، وصرت أخطىء، وزرايتي تامة، يا خير جسدي، اغفري استبدادي، ولكن لا تقولي، تبعاً لذلك، «اغفر لذوينا الرومان». آه، قبلة طويلة كنفيي، عذبة كانتقامي وثأري! والآن، قسماً بملكة السماء الغيورة الغضوب، تلك القبلة حملتها منك، يا عزيزتي، وظلت شفتي المخلصة بتولاً منذ الساعة تلك. يا آلهة! إني أثرثر وأدع أنبل والدة في الدنيا دونما تحية، يا ركبتي، في الأرض، غوري.

(يركع)

واظهري أثراً لعميق واجبك أكبر مما يظهره عامة الأبناء.

فلومنيا : انهض مباركاً! (تنهضه) فيما أجثو أنا أمامك على وسادة ليس أنعم من الصوّان، وأبدي الواجب لا كما يجب، إذ أخطأنا الفهم طوال هذا الوقت، بين الوالد والولد.

(تركع)

كريولانس : ما هذا؟ أتركعين لي؟ لولدك المعاقب؟ إذن فلتضرب حصى الشاطىء الجائع النجوم والكواكب، ولتقذف متمردات الرياح عاليات الأرز بوجه الشمس اللاهبة، قاتلة كل مستحيل، لتجعل شيئاً سهلاً من كل ما لا يمكن أن يحدث.

فلومنيا : أنت محاربي: أنا كنت العون في صنعك. أتعرف هذه السيدة؟.

كريولانس : إنها النبيلة شقيقة بَبْليكولا، بدر روما. عفيفة كقطرات الماء التي يكثّفها الصقيع من أنقى الثلج وتتدلى من هيكل ديانا: العزيزة فليريا!

فلومنيا : وهذا خلاصة مسكينة لك، وعندما يتم له تأويل الزمن قد يشبهك كل الشبه.

كريولانس : (لابنه) برضى من جوبيتر، ليفعم ربُّ الجنود أفكارك نبلاً عسى أن تثبت أن العار لا يدانيك، وتصمد في الحروب كمعلم بحري عظيم،

تقاوم الزوابع والأنواء كل من تقع عينه عليك!.

فلومنيا : على ركبتك يا ولد!.

كريولانس : ولدي الرائع!.

فلومنيا : هو، وزوجتك، وهذه السيدة، وأنا ـ جميعنا مبتهلون إليك.

كريولانس : أضرع إليك ألا تتكلمي. أو، إن كنت ستصرين، أن تتذكري هذا أولاً: إن ما أقسمت ألا أمنحه لأحد، عليك إلَّا تعتبريه رفضاً لك أنت. لا تطلبي إليّ أن أصرف جنودي، أو أن أوقّع شروطاً ثانية مع صنّاع روما. لا تخبريني ما الذي أبدو فيه خارجاً على الطبيعة. ولا ترغبي في تخفيف غضباتي ونقماتي بحججك القريرة.

فلومنيا : آه كفى، كفى! لقد قلت إنك لن تهبنا أي شيء. فما لنا أي شيء آخر نسأله، سوى ما رفضته في السابق، ومع ذلك، فسنطلب فإن رددتنا فيما نطلبه، وقع اللوم على قسوتك. ولذلك، اسمعنا.

كريولانس : أوفيديوس، وأنتم أيها الفولسيون، انتبهوا. لأننا لن نسمع شيئاً من روما في خلوة عنكم (لأمه) مطلبكن؟.

فلومنيا : لو صمتنا ولم نتكلم، لكان في لباسنا وحالتنا البدنية ما يفصح عن الحياة التي عشناها منذ نفيك. قدّر لنفسك كيف أننا أشقى نساء الأرض جميعهن إذ قدمنا إلى هنا لأن رؤياك التي يجب أن تقرّ عيوننا فرحاً، وترقص قلوبنا سلوى، تجبرها على البكاء والنحيب هلعاً وحزناً، جاعلاً الوالدة والزوجة والولد يرون الولد والزوج والوالد يبقر أحشاء وطنه. ولنا نحن المساكين عداؤك رهيب الضراوة، فأنت تحجب عنا الصلاة للآلهة، وهي سلوى يتمتع بها الجميع عدانا. وأنّى لنا، واأسفاه، أنّى لنا أن نصلّي من أجل ديارنا، ونحن بها مرتبطون، ومن أجل انتصارك أيضاً، نحن بك مرتبطون، واحَرّ قلباه! إما أن نفقد ديارنا، مطعمتنا الحبيبة، أو شخصك أنت، عزاءنا في ديارنا. لن نلقى إلا البلاء المؤكد، حتى لو أعطينا أمانينا، سواء أكان النصر لهذا الجانب أو ذاك، فإمّا أن تُساق كخائن مع الأجنبي مغلولاً في شوارعنا، أو أن تدوس منتصراً خرائب موطنك وتحمل سعفة الظفر لأنك بشجاعة وبسالة سفكت دم زوجتك وأطفالك. أما أنا يا بنيّ،

فلن أريد ترقب المصير حتى تنتهي هذه الحروب: وإن عجزت أنا عن إقناعك بإظهار الحلم النبيل لكلا الفريقين عوضاً عن طلب النهاية لأحدهما، فإنك حالما تزحف للهجوم على بلدك لسوف تدوس ـ ولكن ثق أنك لن تفعل ذلك على رحم أمك التي أنجبتك في هذه الدنيا.

فيرجليا : أجل، ورحمي أنا، أنا التي أنجبت هذا الصبي، لحفظ اسمك حيّاً على مرّ الزمن.

الصبي : لن يدوس عليّ أنا. سأفرّ إلى أن أكبر، ثم

مرسيوس أقاتل.

كريولانس : من شاء ألا يكون في رقة امرأة، وجب عليه ألا يرى وجه طفل أو امرأة، لقد أطلت الجلوس.

(ينهض)

فلومنيا : لا، لا تذهب عنّا هكذا. لو أن فحوى مطلبنا إنقاذ الرومان، وبالتالي تدمير الفولسيين الذين تخدمهم، لكان لك الحق في شجبنا كلوثة لشرفك. كلّا. إن التماسنا هو أن توفق بينهما. فبينما قد يقول الفولسيون «هذه الرحمة أبديناها»، يقول الرومان «هذه تلقيناها»، فيتوجه نحوك الجميع من كلا الجانبين بالتحية،

ويصيحون «بوركت لايجادك هذا السلام!» أنت تعلم يا ولدي أن نهـاية الحـرب مشكوك فيهـا، وهـذا لا ريب فيـه وهـو إنْ أنت فتحت روما، فـالنفع الـذي ستجنيه لن يكـون إلا اسماً يُـردّد ويلاحق باللعنات، سُطّر تـاريخه هكـذا: «كان الرجل نبيـلاً، ولكنه بفعلتـه الأخيرة محـا نبله، ودمّـر بلده، وبقي اسمـه كـريهـاً لـلأزمـان اللاحقة». حـدثني يا ولـدي: لقد أحببت دومـاً دقائق الشرف واقتديت بمروءات الآلهـة فتمزق بـالرعـد وجنات الفضـاء الواسـع ولكن تُحَمّـل كبريتك نصلاً لا يشقّ إلا مجرد سنديانـة. لم لا تنـطق؟ أتحسب أن شرف المـرء النبيل يقتضي أن يذكر الأخـطاء دوماً! تحـدثي أنت، يا ابنتي فبكـاؤك لا يهمـه. تكلم أنت، يـا ولـد. لعـل طفولتك تعمل فيه أكثـر من حججنا. مـا عرفت رجـلاً في الدنيـا غيرك أوثق ارتبـاطاً بـوالدتـه، ورغم ذلـك فإنـه يدعني أثـرثـر كمن وضـع في الدهَق. طيلة حياتك لم تظهر، بتاتاً، لوالـدتك العـزيـزة أيـة مجـاملة، في حين أنهـا، هـذه الدجاجـة البائسـة، لما زهـدت في فرخ ثـان، راحت «تقـرق» رعـايـة لـك وانت ذاهب إلى

الحروب، وآيباً منها بالسلامة، محملاً بالمجد. قل إن مطلبي غير عادل، وازجرني عنك، ولكن إذا لم يكن كذلك، فإنك غير صادق، ولسوف تعذّبك الآلهة لأنك تحجب عني الواجب الذي يعود إلى دور كل والدة إنه يشيح بوجهه. اجثين يا سيدات، لنخجله بركبنا. إلى لقبه كريولانس تنتسب الكبرياء أكثر مما تنتمي الرحمة إلى توسلاتنا. اركعن، ختاماً، هذه المرة الأخيرة، ومن ثم نرجع إلى منزلنا في روما، ونموت بين جيراننا. ولكن انظر إلينا: هذا الولد الذي لا يدرك ماذا يريد. وإنما يجثو ويرفع يديه أسوة بنا، يمنطق طلبنا بقوة أعظم من قوة حجتك في رفضه. هلموا، لنذهب فهذا الرجل كانت والدته فولسية وزوجته تقطن في كريولي، ولعل ولده مثله. اسمح لنا بالعودة سأصمت إلى حين تلتهب مدينتنا، وعندئذ سأتكلم قليلاً.

(كريولانس يمسكها من يدها، صامتاً)

كريولانس : أماه، أماه! ما الذي صنعته؟ انظري؟ السماوات تنشق والآلهة تطل، وتضحك على هذا المنظر المنافي للطبيعة. آه يا أماه، أماه!

لقد أحرزت لروما نصراً سعيداً. أما ولدك، فصدقيني، صدقيني، ما حققت ما تريدين منه إلَّا لأعظم الخطر عليه، بل لما قد يُلقيه إلى حتفه. ولكن، ليقدم. أوفيديوس، لئن أعجز عن شن حروب حقيقية، فلسوف أصنع سلماً ملائماً. أوفيديوس، أيها الكريم لو كنت مكاني، هل كنت تصغي إلى والدتك أقل مما أصغيت، أو تهبها أقل مما وهبت؟ أوفيديوس؟

أوفيديوس : لقد تأثرت.

كريولانس : اقسم أنك تأثرت. ويا سيدي، ليس بالأمر الهين ما يجعل عينيّ تتفصّدان رحمة ولكن، سيدي الفاضل، أخبرني، أي سلم تبغي تحقيقه. أما أنا فلن أذهب إلى روما، بل أعود معك. وأرجوك، أن تساندني في هذه القضية. أماه! زوجتي!.

اوفيديوس : (جانبياً) أفرحتني بأن جعلت رحمتك وشرفك على طرفي نقيض فيك. ومن ذلك سأعيد لنفسي سابق مكانتها.

(تومىء النساء لكريولانس)

كريولانس : (للنساء) أجل. مهلاً، مهلاً، ولكن لنشرب معاً، فتأخذن معكن شاهداً أفضل من الكلمات،

سنختمـه من ناحيتنـا بشروط ممـاثلة. تفضلن.
وادخلن، أيتها السيدات، إنـه ليليق أن يُشاد أن
يبنى لكنّ هيكـل: فهذا السـلام ما كـانت تقدر
على تحقيقه سيوف ايطاليا بأجمعها ولا جيوشها
المتحدة كلها.

(يخرجون)

المشهد الرابع

(ساحة عامة في روما)

(يدخل مينينيوس وسيسنيوس)

مينينيوس : هل ترى ذلك الركن من الكابتول، حجر الزاوية ذاك؟.

سيسنيوس : وما شأنه.

مينينيوس : إن أمكنك إزاحته ببنصرك، فإن ثمة أملاً في أن سيدات روما ، وبالأخص والدته سينجحن في اقناعه. ولكنني أقول: لا أمل بتاتاً، لقد حكم على رقابنا، وهي تنتظر التنفيذ.

سيسنيوس : أمن الممكن أن وقتاً قصيراً كهذا بإمكانه تغيير حالة المرء؟.

مينينيوس : ثمة فرق بين الشرنقة والفراشة. ولكن الفراشة كانت شرنقة ومرسيوس هذا قد تطور من إنسان إلى تنين: إن له أجنحة، وأكثر من زاحف واحد.

سيسنيوس : كان يحب والدته جداً.

مينينيوس : ويحبني أنا أيضاً: ولكنه الآن لا يذكر والدته أكثر مما يذكر والدته حصان سنه ثماني

سنوات. حموضة وجهه تحمّض لأشد العنب نضوجاً. عندما يسير، فإنه يتحرك كآلة حربية، فترتجف الأرض تحت خطوه باستطاعته أن يخرق درعاً بعينه. يتكلم كجرس الموتى، وهمهمته هجوم. وهو يجلس على عرشه كأنه شيء يمثل الإسكندر. ما يأمر بفعله يُنجز فور أمره. ولا ينقصه عن الإله سوى الخلود، وسماء يجعل عرشه فيها.

سيسنيوس : أجل، والرحمة، إن كان وَصْفك له صادقاً.

مينينيوس : أني أصوره كما هو في خلقه. انظر أية رحمة ستأتي بها منه والدته. إن يكن في النمر الفحل حليب، فإن فيه رحمة. هذا ما سوف تلقاه مدينتنا البائسة، وكل ذلك بسببكم.

سيسنيوس : لتحفظنا الآلهة.

مينينيوس : لا، في مثل هذه الحالة لن تحفظنا الآلهة. فعندما نفيناه، لم نحترمها. وإذ يرجع ليدقّ أعناقنا، فإنها لن تحترمنا.

(يدخل رسول)

الرسول : سيدي، إذا أردت النجاة بحياتك، فاهرب إلى منزلك. لقد أمسكت الجماهير بالتريبون زميلك، وراحت ترفعه وتحطّه، مقسمةً إذا لم

تَعُد السيدات الرومانيات بما يروّح عنها، فإنها ستذيقه الموت بالقيراط.

(يدخل رسول ثان)

سيسنيوس : ما الخبر؟.

الرسول الثاني : خبر سار! خبر مفرح! لقد نجحت السيدات، ورفع الفولسيون معسكرهم، وذهب مرسيوس. ما سعدت روما قط بيوم أكثر مرحاً، حتى عندما طردت آل طار كوين.

سيسنيوس : هل واثق أنت بصحة هذا، يا صديق؟ أواثق جداً.

الرسول : واثق ثقتي بأن الشمس نيران لاهبة. أين كنت قابعاً، فترتاب به؟. ما دفق تيار زاخر خلال قنطرة جسر كما تدفق الناس المبتهجون من خلال أبواب، المدينة. اسمع!.

(أبواق، مزامير، طبول تدق، كلها معاً)

الأبواق، المزامير، السنطور والناي، الدفوف والصنوج، وصيحات الرومان: كلها تجعل الشمس ترقص. اسمع!.

(صياح من الداخل)

مينينيوس : هذا خبر مفرح سأذهب لأكون في استقبال السيدات. فإن فلومنيا هذه تساوي، من

القناصل والشيوخ والأشراف، ملء مدينة بكاملها، ومن أمثالكم ملء البرّ والبحر. لقد أحسنتم الصلاة والتضرع اليوم: فهذا الصباح ما كنت لأشتري عشرة آلاف من رقابكم بفلس واحد. اسمع كيف يهزجون!.

(من الداخل، موسيقى مستمرة وصياح)

سيسنيوس : أولاً، لتباركك الآلهة لأنبائك، وثانياً تقبّل عظيم شكري.

الرسول الثاني : سيدي، جميعنا لدينا ما يدعونا إلى جزيل الشكر.

سيسنيوس : هل اقتربن من المدينة؟

الرسول الثاني : على وشك دخولها.

سيسنيوس : سنكون في استقبالهن، ونساهم في الفرح.

(يخرجون)

المشهد الخامس

(شارع قرب باب المدينة في روما)

(يدخل شيخان مع فلومنيا، وفيرجليا، وفليريا، والأخريات، ويمرّ الجميع عبر المسرح، يلحقهم الأشراف، وآخرون)

الشيخ الأول : هاكم نصيرتنا، حياة روما! ادعوا أحزابكم جميعاً، اشكروا الآلهة، وأشعلوا نيران النصر. انثروا الزهور أمامهن. أخرسوا الضجيج الذي نفى مرسيوس، وأعيدوه بترحيبكم بوالدته، وصيحوا: «مرحباً بالسيدات، مرحباً!».

الجميع : مرحباً بالسيدات، مرحباً!.

(صدح أبواق وقرع طبول).

المشهد السادس

(ساحة عامة في مدينة انتيوم)

(يدخل تولوس اوفيديوس مع مرافقين)

اوفيديوس : اذهبوا واخبروا سادة المدينة أنني هنا. سلموهم هذه الورقة. وإذا ما قرؤوها اطلبوا إليهم أن يذهبوا إلى ساحة السوق، حيث أشهد على صدقها في آذانهم وآذان العامة جميعاً. إني أتهمه بأنه قد دخل أبواب المدينة بهذه، ويقصد إلى الظهور أمام الشعب آملاً أن يطهّر نفسه بالكلمات. أسرعوا!.

(يخرج المرافقون)

(يدخل ثلاثة متآمرين أو أربعة من حزب اوفيديوس)

أهلاً بكم!.

المتآمر الأول : كيف الأمور مع قائدنا؟.

اوفيديوس : أنا أشبه برجل سممته صَدَقَتُه وَنَحَرَهُ إحسانه.

المتآمر الثاني: سيدي الأكرم، إن أنت ما زلت على القصد ذاته الذي أردت إشراكنا فيه، أنجيناك من خطرك العظيم.

اوفيديوس : لست أعلم يا سيدي. عليك بالسير قدماً وفق ما نرى الشعب عليه.

المتآمر الثالث : سيبقى الشعب في ارتياب ما دام الشقاق والخلاف بينكما. غير أن سقوط أي منكما سيجعل الآخر وارثاً لكل شيء.

اوفيديوس : أعرف. وحجتي في ضربه تحتمل حُسْنَ التأويل. أنا أنهضته، وأنا راهنت بشرفي على إخلاصه ووفائه، وحينما سما بذلك راح يروي نبتاته الجديدة بندى الكذب والنفاق، غاوياً بذلك أصدقائي. ولمأربه هذا وضع طبيعته، وهي التي لم يعرف عنها سابقاً سوى أنها فظّة، جموح، طلقة.

المتآمر الثالث : سيدي، إن عجرفته قد بدت يوم رشح نفسه للقنصلية، التي فقدها لعدم اتضاعه.

اوفيديوس : ذاك ما كنت سأتكلم عنه. وحين أبعدوه لذلك السبب، جاء إلى موقدي، وجعلته شريكاً لي. وأفسحت الطريق لرغباته كلها، بل إنني جعلته يختار من بين جنودي، تسهيلاً لغايته، أفضل رجالي وأقواهم. وخدمت مشاريعه بشخصي أنا، وأيدته في أن يجني الشهرة التي جعلها كلها لنفسه، وفاخرت شيئاً بأن أجحف في حق

نفسي هكــذا، إلى أن أصبحت في النهــايــة، أبدو تابعاً، لا شريكاً له، وأخذ يدفع لي أجري بمحيّاه، كأنني من المرتزقة.

المتآمر الأول : هذا ما صنعه يا مولاي وقد تعجب لـه الجيش، وفي نهـايـة الأمـر، وقـد خلص من أخـذ رومـا وأحرزنا ما توقعناه من غنائم لا تقلّ عن المجد.

اوفيديوس : هناك النقطة، حيث ستمتـد عليه عضـلاتي لقاء بضـع قطرات ممـا تُجْـريـه مُقَـل النسـاء، وهي بخسة كالأكاذيب، باع كل ما في عملنـا العظيم من ذم وتعب وعناء. ولذلك، يجب أن يموت. وبسقوطه أجدد نفسي، ولكن أصغوا!.

(أصوات طبول وأبواق، وصيحات عظيمة من الشعب)

المتآمر الأول : مدينتك ومسقط رأسك دخلتها أنت كمـا ساعي البريد. ولـم يرحب بك أحـد لعودتـك. أما هـو فيرجع والضجيج يشق عنان السماء.

المتآمر الثاني : والبلهـاء الصـابـرون الـذين قتـل هـو أطفـالهم يمزقون حناجرهم بتمجيده.

المتآمر الثالث : ولذا، انتهز فرصتك، قبل أن يعبر عما في نفسه، أو يؤثر في الناس بأقواله، ودعه يستشعر حسامك، فنعيد الكرّة نحن عليـه. وحين يخر إلى الأرض

فإن الرواية التي ستحكيها على طريقتك ستدفن حججه مع جسده.

أوفيدوس : كفّوا عن الكلام. السادة قادمون.

(يدخل سادة المدينة)

السادة : نرحب بك جميل الترحاب في مدينتك.

اوفيديوس : أنا لا أستحق ذلك. ولكن أيها السادة الأكارم هل تمعنتم بقراءة ما كتبت لكم؟.

السادة : نعم.

سيد أول : ويؤسفنا سماع ذلك. يُخيّل إليّ أن الأخطاء التي اقترفها، قبل خطئه الأخير، ربما قوبلت بغرامات زهيدة. أما أن ينتهي إلى حيث كان ينبغي عليه أن يبدأ، ويهدر منافع الجيش الذي جنّدناه، محملاً إيانا مصاريفنا ذاتها، وعاقداً معاهدة حيث ثمة استسلام ـ فإن هذا أمر لا عذر له فيه.

اوفيديوس : ها هو قادم، ولسوف تسمعونه.

(يدخل كريولانس، في مسيرة عسكرية مع الطبول والبيارق، ومعه جمهور من العوام).

كريولانس : سلاماً أيها السادة! إني أعود جنديّكم لا يعدوني حبّ وطني أكثر مما عداني يوم رحلت عنه، وما زلت مقيماً رهن إشارتكم الجليلة. عليكم أن تدركوا أنني حاولت وأفلحت، وقُدْتُ

حروبكم، خلال الدم، حتى أبواب روما. وما رجعنا به من مغانم يعادل أكثر من ثلث كامل من مصاريف الحملة. لقد عقدنا سلاماً فيه من الشرف العظيم للأنتيانيين بقدر ما فيه من عظيم العار للرومان، وها نحن هنا نسلم ما اتفقنا عليه، موقّعاً من القناصل والأشراف وممهوراً بختم الدولة.

اوفيديوس : لا تقرؤوه، أيها السادة النبلاء! بل قولوا للخائن، إنه قد أساء استعمال سلطاتكم، لأبعد ما يكون السوء!.

كريولانس : خائن؟ ما هذا؟.

اوفيديوس : أجل، خائن، مرسيوس!.

كريولانس : مرسيوس!!.

اوفيديوس : أجل، مرسيوس كيوس: هل تظن أنني سأقوم بتكريمك لتلك السرقة ـ بلقبك كريولانس الذي سلبته في كريولي؟ أيها السادة ويا رؤساء الدولة، لقد خان أمانتكم وملؤه اللؤم، ولقاء بضع قطرات من الملح سلّم مدينتكم روما ـ أقول «مدينتكم» ـ لزوجته ووالدته ناقضاً عهده وعزمه، كخيط من حرير مهترىء، رافضاً على الدوام، مشورة الحرب. غير أنه عند رؤية

دموع مَنْ أرضعته تـأوَهَ وزأر رامياً عنـه ظفـركم
وانتصـاركم ، حتى احمرّ الفتيـة خجلاً وحيـاء ،
وراح ذوو المـروءة يتبـادلـون نـظرات الـدهشـة
والتعجب .

كريولانس : أتسمع يا مارس؟ .

اوفيديوس : لا تذكر الإله، يا صبي الدموع ! .

كريولانس : ها! .

اوفيديوس : ليس إلَّا ! .

كريولانس : يا كذوبـاً ليس لكذبـه حدود، لقـد جعلت قلبي أضخم من أن يُحتوى داخل صدري يا غلام! يا عبـد الصفح والمغفـرة أيها السـادة، فهذه أول مرة اضطر فيها إلى الزجر والتعنيف . حكمكم، سـادتي المحترمين، يجب أن يكـذّب هـذا الجرو: وادراكه ـ هذا الذي يلبس آثار ضرباتي وهي مطبوعـة فيه، والـذي عليه تحمـل ضربي حتى قبره ـ سيشـارك في رمي الفرية بوجهه .

سيد أول : صمتاً، كليكما، وانصتا إلي أتكلم .

كريولانس :. مـزقوني إربـاً ، أيها الفـولسيون . أيهـا الـرجـال والغلمـان، لـطخـوا شفـراتكم جميعـاً بي . يـا غـلام! يا كلبـاً غيـر مخلص! إن كنتَ سـطّرت تـاريخكم بصدق، تجـد فيه أنني ، كـالنسر في

برج الحمام، هِجْتُ قومَك الفولسيين في كريولي: وبمفردي فعلت ذلك. يا غلام!.

اوفيديوس : ماذا يا كرام؟ هل تريدون أن يذكّركم هذا المتبجح الذميم بحَظه العشوائي الذي كان عاراً عليكم، أمام مرأى من أعينكم وعلى مسمح من آذانكم؟.

كل المتآمرين : ليكن عقابه الموت!.

كل الشعب : قطّعوه إرباً! مزقوه الآن! لقد قتل ولدي! قتل ابنتي! قتل ابن عمي ماركوس! قتل والدي!.

سيد ثان : سكوتاً يا ناس! لا تعدّي! سكوتاً! هذا رجل كريم، وإن صيته ليطبق آفاق كرة الأرض هذه. أمّا سيئاته الأخيرة إلينا فسوف يحاكم عليها. قف يا أوفيديوس، ولا تعكّر صفو الأمن.

كريولانس : ليتني أبارزه، واستعمل حسامي المشروع.

اوفيديوس : أيها النذل الوقح!.

كل المتآمرين : اقتلوه، اقتلوه، اقتلوه، اقتلوه!.

(اوفيديوس والمتآمرون يشهرون سيوفهم ويقتلون كريولانس، ويقف أوفيديوس على جثته)

السادة : كفى، كفى، كفى، كفى!.

اوفيديوس : سادتي الكرام، استمعوا إلي أتكلم.

سيد أول : آه يا تولوس.

سيد ثان : لقد أتيت بعمل تبكي له الشجاعة.

سيد ثالث : لا تطأ عليه. إهدؤوا يا سادة. أغمدوا سيوفكم.

اوفيديوس : سادتي، عندما تعلمون ـ ولكنكم في غضبكم هذا وقد أثار استفزازكم، لا تعلمون ـ الخطر العظيم الذي كانت تخبئه لكم حياةُ هذا الرجل، وإنكم ستسرون لمقتله هكذا. فإن وددتم، سيادتكم، أن تدعوني إلى مجلس شيوخكم، سأبرهن إنني خادمكم المخلص، أو أتلقى أشدّ انتقادكم.

سيد أول : احملوا جثمانه من هنا، واندبوه: وليكرّم كأنبل رُفاتٍ شيّعه الناعون إلى مثواه.

سيد ثان : إن ضيق صدره ليخفف معظم اللائمة عن أوفيديوس. فلننتفع من ذلك.

اوفيديوس : لقد زال غضبي، وأصابني الآن الحزن والأسى ارفعوه. ثلاثة من رؤساء الجند، عاونوني. سأكون واحداً منكم. وأنت، اقرع

الـطبل، وليكن حـزيناً راثيـاً. استلوا رماحكم. فهـو وإن يكن قـد رمّـل الكثيـرات في هـذه المـدينـة، فـرحن يبكين أحـزانهن حتى هـذه الساعة، فإنه سيقام له نصب نبيل ساعدوني.

(يخرجون، حاملين جثمان كريولانس.

ويُعزف لحن مسيرة جنائزية).

* * *

روائع شكسبير

* مكبث
* الملك لير
* هملت
* عطيل
* كليوباترا
* العاصفة
* يوليوس قيصر
* تاجر البندقية
* ريتشارد الثالث
* روميو وجولييت
* سيدان من ڤيرونا
* حلم ليلة صيفية
* العين بالعين
* ملهاة الأخطاء
* مأساة كريولانس
* خاب سعي العشاق